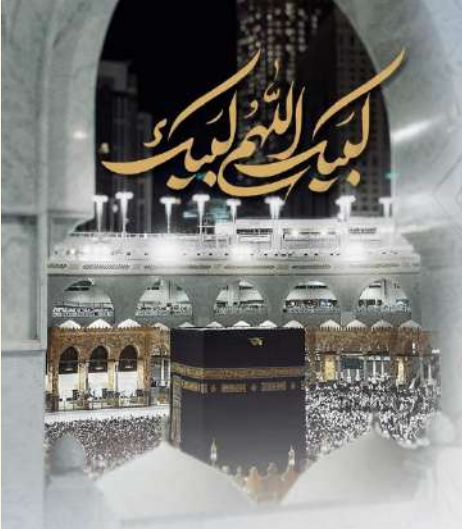

مجلة إسلامية شهرية

ذوالحجة ١٤٤٧هـ
يونيو ٢٠٢٦م

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام
الأستاذ جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
مساعد التحرير : عثمان فاروق
المدير المسؤول : محمد حسن إلياس

"إنّ شعيرة الأضحية في عيد الأضحى المبارك تُعدّ من أجلّ شعائر الإسلام وأعظم مظاهر التعبُّد والخضوع لله تعالى، إذ تتجلّى فيها حقيقة العبودية الصادقة وروح الاستسلام الكامل لأمر الله رب العالمين. فهي ليست مجرد عادة موسمية أو مظهرًا اجتماعيًا يتكرّر في كل عام، بل هي عبادة جليلة تتجاوز ظاهر الذبح وإراقة الدماء إلى معانٍ سامية من الإيمان والإخلاص والفداء والتقوى".

(من المقال: «شعيرة الأضحية: حقيقتها ومقاصدها وأهميتها» إعداد: عثمان فاروق، ص ١٤٦)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث
الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري* انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما الحديث النبوي، فقد فصل عن أصوله في القرآن والسنة، وأفرغ من مضامينه الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسة فكرية بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيره من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملاً. وانطلاقًا من هذا الوعي،

---

* شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها:

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

مجلة إسلامية شهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الثاني | العدد الخامس | ذوالحجة ١٤٤٧هـ | يونيو ٢٠٢٦م

المشرف العام
الأستاذ جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
مساعد التحرير : عثمان فاروق
المدير المسؤول : محمد حسن إلياس
مساعد التدوين : شاهد رضا

هيئة التحرير

د. ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، د. محمدعامرالقزدر، د. عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، السيد منظور الحسن، شاهد محمود

الهيئة الاستشارية الدولية

الدكتور صلاح عدس (مصر)، الدكتور محمد دياب غزاوي (مصر)، الأديب محمد الشرقاوي (مصر)
الدكتور محمد أكرم الندوي (أكسفورد، إنجلترا)، الشيخ محمد ذكوان الندوي (الهند)، الأستاذ عمر محمود ضوبع (السورية)

محتويات العدد

الشذرات

رسائل من الأدباء والشعراء العرب ٩

إشراقة: الصين كلاعب كبير في اللعبة الكبري رئيس التحرير ١٥

مآلات الصراع الإيراني- الأمريكي (٢) الأستاذ محمد حسن إلياس ٢٦

هل يمكن للإسلام أن يبقى في ظلّ نظام الدولة القومية؟ الدكتور راشد شاز ٣١

دور الدعوة والداعية (٨) الشيخ وحيد الدين خان ٣٦

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :١٧١-١٨٠ (١٦) الأستاذ جاويد أحمد غامدي ٤٣

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٤) أ. د/ فاضل صالح السامرائي ٤٦

المعارف النبوية

الأحاديث المباركة الأستاذ محمد حسن إلياس ٥٠

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

البريد الإلكتروني
info@ghamidi.org

الموقع الإلكتروني
www.manhajulghamidi.com

3620 N Josey Ln, Suite 230, Carrollton, TX 75007
Tel: +1 (972) 370-5083

مقامات

مقطتف من ''مقامات '' (١٦) — الأستاذ جاويد أحمد غامدي ٥٢

الدين والمعرفة

مقطتف من ''ميزان'' (١٦) — الأستاذ جاويد أحمد غامدي ٥٥

المختارات

كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (مقتطف من شرح البخاري) (٣) — الإمام شبير أحمد أزهر الميرتهي/ د. محمدغطريف شهباز الندوي ٦٠

آثار الصحابة

الحوارات بين زعماء فارس والصحابة الكرام (٥) — أ. د/ محمد عمار خان ناصر ٦٦

الدراسات والتحقيقات

تاريخ جمع وتدوين القرآن (دراسة نقدية) (١٠) — الدكتور شهزاد سليم ٧٠

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (١٦) — أ. سيد منظور الحسن ٧٧

دراسة لتصرّفات الراوي في 'حديث القرطاس' — العلامة شبير أحمد أزهر/ د. محمدغطريف شهبازالندوي ٨٣

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (١٤) — أ. سيد منظور الحسن ٩٢

علم الحديث في شبه القارة الهندية (٢) — د. محمود أحمد غازي/ أ. فضل الرحمن محمود ٩٦

البحوث الفقهية

مدى شرعية التأذين والإقامة في آذان المولود (٣) — د. محمد عامر القَزدر ١٠١

دراسة الغرب

مقدمة لقراءة فكر علي عزت بيجوفيتش (٤) — د. عبد الوهاب المسيري ١٠٤

الحداثة وما بعد الحداثة (٤) — د. فتحي التريكي ١١٠

وجهات نظر

مسألة التطور والقرآن الكريم (٢) — الشيخ سيد سليمان الندوي ١١٣

سرد التجديد والتجدّد — الدكتور وارث مظهري ١١٨

'التعليم' أم الحركة: دراسة تحليلية — الأستاذ محمد ذكوان الندوي ١٢٣
توافق علامات القيامة في الحديث النبوي (١٢) — الدكتور محمد سعد سليم ١٢٧

على مائدة العلم والأدب

الخاطرة "نعم، كنت متعبا" — أ. د/ محمد دياب غزّاوي ١٣٣
ما "تركي"؟ — د. الشيخ محمد أكرم الندوي ١٣٧

فى السيرة

حياة أمين (١٦) — أ. نعيم أحمد بلوش ١٤١

فى باب التذكير

شعيرة الأضحية: حقيقتها ومقاصدها وأهميتها — أ. عثمان فاروق ١٤٥

من أقلام الشباب

عالم وباحث مغمور: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي — علقمة صفدر ١٥٥
المقاومة عبر العصور ومر الدهور — تنوير الإسلام ١٦٣

الشعر والقريض

الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية (٧) — أ. عمر محمود ضوبع (سوريا) ١٦٩
الشكوى وجواب الشكوى (حديث الروح) (١٢) — العلامة الدكتور محمد إقبال/ الشيخ صاوي علي شعلان المصري ١٧٠
قصيدة معركة 'الحَرَّة' — د. صلاح عدس (مصر) ١٧١
قصيدة 'مِنْ وَحْيِ النُّبُوَّةِ' — وردة أيوب عزيزي (الجزائر) ١٧٣
قصيدة "الطريق الي رضاك" — أسامة الزقزوق (مصر) ١٧٦
قصيدة "شمسٌ غاربةٌ" — الأديب محمد الشرقاوي (مصر) ١٧٨
قصيدة "البيت العتيق" — أ. محمد محمد السنباطي (مصر) ١٨٠

الأحداث

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد" أمريكا — شاهد محمود ١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الشخرات

رسائل من الأدباء والشعراء العرب

وردة أيوب عزيزي (الشاعرة والأديبة الجزائرية)

أخي الفاضل الأستاذ عثمان فاروق حفظك الله ورعاك،
مساعد تحرير مجلة «الإشراق» الغراء (مركز غامدي للتعلم الإسلامي - أمريكا)،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أسعد الله أوقاتكم بكل خير، وبشّركم الله بالقبول والرضوان، وزادكم رفعةً وإشراقا في خدمة الفكر والأدب الإسلامي الأصيل.

لقد تلقيتُ رسالتكم الكريمة وبشارتكم الطيبة ببالغ الفرح والسرور، وإنّه لشرفٌ عظيم وفضلٌ من الله ومَنٌّ، أن تحظى أبياتي المتواضعة في مدح الحبيب المصطفى —صلى الله عليه وسلم— بهذا الثناء البالغ والإعجاب الرفيع من لدن قامات فكرية وأدبية سامقة؛ فضيلة العالم الجليل الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي (رئيس التحرير)، والأستاذ القدير والباحث المبدع محمد حسن إلياس (المدير المسؤول والمشرف العام).

إنّ رغبتهما الكريمة في نشر القصيدة في عدد شهر يونيو ٢٠٢٦م هي طوق ياسمين يزيّن قلمي، وحافزٌ يدفعني لمزيد من البذل في رحاب الكلمة

المؤمنة. فما كان من صادق العاطفة في القصيدة فمردّه جلال الممدوح —بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام—، وما كان من جمال الصياغة فببركة التعلق بجنابه الشريف.

أخي الكريم،

لقد هزّتني مشاعركم النبيلة، وأثلج صدري ذلك الترحيب الحار والالتفاتة الطيبة من فضيلة الدكتور محمد غطريف تجاه بلدي الجزائر؛ أرض الشهادة والجهاد. وإنّ استحضاره الواعي والتاريخي لسيرة الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري، وفكر فيلسوف النهضة مالك بن نبي —رحمهما الله—، ليدلّ على عمق الروابط الإيمانية والفكرية التي تجمع الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، وتؤكد أن «الإشراق» ليست مجرد مجلة، بل هي جسر حضاري يربط القلوب والعقول.

أبادلكم، وأبادل الإخوة الأفاضل في إدارة التحرير، حبا بحب، وتقديرًا بتقدير. وإنني أعتزّ بانضمام قلمي إلى كوكبة كُتّاب مجلتكم المتميزة بمضامينها الهادفة وإخراجها الفني الراقي.

أشكر لكم —أخي عثمان— حسن وساطتكم ونبل مشاعركم، وأسأل الله العلي القدير أن يبارك في جهودكم جميعًا في مركز غامدي (GCIL)، وأن يتقبل منا ومنكم هذا السعي، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وفي ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

دمتم ودامت «الإشراق» منارة هدى وإبداع.

أختكم الممتنة لكم

وردة أيوب عزيزي

١٥ مايو ٢٠٢٦م

الأستاذ عمر محمود ضوبع
(الشاعر والأديب السوري)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستاذنا الفاضل الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي

لقد اطلعت على محتويات العدد الجديد من مجلة "الإشراق" الإسلامية فوجدت فيها الخير العظيم والنفع العميم، وخاصة البحوث المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، والتي سلطت الضوء على بيانه المعجز، ومعانيه السامية، ومراحل جمعه وتدوينه، كذلك البحوث المتعلقة بإشراقات السيرة النبوية ومواقف بعض الصحابة الكرام، والمواضيع الفقهية التي تهم المسلمين في حياتهم، كذلك أثارت بعض أبحاث المجلة الرغبة عندي في البحث عن المزيد، كالحديث عن سفينة نوح، وقضية نزول المسيح، وحادثة انشقاق القمر، وأسعدتني كثيرًا اختيارات المجلة الأدبية في القصة القصيرة والشعر العربي أو المترجم، وأشكر لكم اهتمامكم بالأرجوزة السمية وحرصكم على نشرها كاملة في المجلة ضمن سلسلة متتابعة، كما أنني قرأت بتأثر بالغ مقالة التأبين التي كتبها أخي الفاضل الأستاذ عثمان فاروق والتي سلطت الضوء على جانب مشرق من حياة أستاذنا الجليل مسعود أحمد رحمه الله تعالى.

كل ما تقدم ذكره إذا دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على القيمة العظيمة لهذه المجلة، والقامات العلمية والأدبية الكبيرة التي سطرت بأقلامها النور بين صفحات المجلة، وشاركت في إخراجها على هذه الشكل المتقن والمتفرد بمواضيعه وعلومه وأدبياته.

ولا يسعني بعد ذلك إلا أن أشكركم عظيم الشكر على هذا المجهود الكبير المبذول في مجلة الإشراق، وأسأل الله أن يمدَّ مدادكم بالنور والهدى، وأن يديم هذه الصفحات إشراقًا في حياتنا، وأسأله لكم دوام التوفيق والسداد، والرضا والقبول.

دمتم برعاية الله وحفظه.

١٧ مايو ٢٠٢٦م

بقلم: الأديب محمد الشرقاوي (الشاعر والأديب المصري)

لماذا نجحت مجلة الإشراق؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

إن أشرف مهمة يقوم بها الإنسان هي العلم تنفيذا لأمر الخالق جل في علاه حيث قال في أول آية أنزلها على رسوله وحبيبه ومصطفاه: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) آية ١ سورة العلق، وكذلك في أحاديث عديدة لرسولنا الكريم صلوات ربي وتسليماته عليه منها (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) ومن هنا يأتي التكليف بضرورة تحصيل العلم ونشره وفي ذلك من الفوائد الدنيوية والأخروية مالا يعد ولا يحصى، فبالعلم يستطيع الإنسان أن يحيا كريما مطمئنا صالحا مصلحا يساهم في بناء وطنه ورفعة أمته، كما يوضح العلم جوانب الحياة ومقدرات الكون التي أنشأها الله سبحانه وتعالى وعند إدراك ذلك يصل

الإنسان إلى درجة من الإيمان تجعله ثابتا صامدا مهما هبت عليه رياح الفكر الضار والحاقد.

تلك المقدمة تنقلنا للفكرة التالية وهي اصطفاء الله لبعض عباده من أهل العلم والإخلاص الذين سخروا وقتهم وحياتهم وما يملكون لنشر العلم وخاصة العلم الديني والفكر السليم الذي يحفظ للأمة تراثها وأمجادها ويقودها لمزيد من القوة والإنجازات، ومن علامات النور التي تقر بها أعيننا في العصر الحاضر هذه المجلة الساطعة المشرقة التي حظت بنصيب من اسمها (الإشراق) فإن المتابعين لها وأظنهم ملايين من شتى الدول الإسلامية وغيرها وجدوا على صفحاتها الناطقة كل ما يتمنون من الفكر الإسلامي إلى التراث وكذلك معالجة قضايا الأمة الملحة والإشارة إلى شخصيات إسلامية وهبت حياتها لخدمة دينها وأمتها سواء من العصور السابقة أو الحالية وأيضا لها اهتمام بالأدب والثقافة ومن كتابها أسماء لامعة من شتى الدول الإسلامية فهي عالمية بمعنى الكلمة، كذلك هي أصبحت زادا ومرجعا لطلاب العلم والباحثين ومعدي الرسائل الأكاديمية بمختلف درجاتها.

ولنا أن نتساءل كيف لهذه المجلة أن تحقق هذا النجاح وهذه الانطلاقة العالمية والإجابة تكمن في توافر مجموعة من العوامل لدى القائمين عليها منها النية الصادقة والعزيمة القوية والهدف الواضح والوعي التام والمتابعة الجيدة لمستجدات الأحداث حول العالم ومعاناة المسلمين في بعض البلاد وعلى رأسها فلسطين وقطاع غزة كذلك ما يتعرض له المسلمون في بعض دول شرق أسيا والفتن التي تعصف بوحدة وقوة بعض الدول المسلمة في شرق أفريقيا كذلك الحرب الدائرة بين إيران المسلمة وعصابات الصهاينة المدعومة بتحالف أمريكي غربي وتأثير ذلك على السلام في المنطقة والعالم.

وبعد سرد ما تقدم أصبح من الواجب والضروري والحتمي أن نتقدم بعظيم الشكر لله سبحانه وتعالى ثم الشكر والتقدير والثناء على تلك الوجوه المشرقة المسئولة عن مجلة الإشراق، تلك العيون اليقظة التي لا تدخر جهدا في خدمة الدين والأمة وفي مقدمتها المشرف العام جاويد أحمد غامدي ذلك العالم الساطع الذي يعمل دون كلل ويقوم بمهمته خير قيام ثم العالم الورع والمناضل المؤمن سماحة الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي وهو رئيس التحرير الذي يقود كتيبة من أمهر المسئولين وله من الفكر العظيم والمؤلفات ما تفخر به المكتبات العظمى ثم الشكر الوفير للباحث والداعية المرموق عثمان فاروق (مساعد رئيس التحرير) ذلك الذي يؤدي دورا محوريا في التواصل مع الكتاب والأدباء ويعمل على جمع المحتوى ويساهم في الاخراج الفني للمجلة فله كل المحبة والاعتزاز وكذلك الأستاذ الفاضل محمد حسن إلياس (المدير المسئول) وهو من الشخصيات الراقية فكرا وسلوكا وله رؤية ثاقبة وتاريخ مشرف في العمل الإعلامي.

وفي ختام كلمتي أتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المجلة ومثيلاتها سببا في وحدة المسلمين وقوتهم وأن يجعل حروفنا وكلماتنا في موازين حسناتنا وأهلنا وأحبابنا وأن يجازي العيون الساهرة على هذا الاصدار العظيم خير الجزاء في الدنيا والآخرة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة
الصين كلاعب كبير في اللعبة الكبري على الصعيد العالمي

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية لعقود القوة المهيمنة على النظام العالمي، سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، حتى بدا للكثيرين أن العالم أحادي القطب. ثم فجأةً ظهرت الصين بقوة متسارعة، خاصة منذ عام ٢٠٠١، لتتحول في زمن قصير إلى لاعب رئيسي في الاقتصاد الدولي، وتلفت أنظار العالم كله بما حققته من نمو مذهل وإنجازات غير مسبوقة.

وبحلول عام ٢٠٢٦، أصبح من بين ٣٤٢٨ ملياردیرًا حول العالم، نحو ١١١٠ ملياردیرًا من الصين، وكان ما يقارب تسعين في المائة منهم من العصاميين الذين صنعوا ثرواتهم بجهدهم الشخصي، لا عن طريق الإرث أو الامتيازات التقليدية. وهذا الرقم لا يعكس مجرد ثراء أفراد، بل يدل على اتساع قاعدة الإنتاج وريادة الأعمال والتحول الصناعي والتقني داخل البلاد.

فكيف حدثت هذه الثورة الاقتصادية الصينية؟ وما العوامل التي نقلت دولة كانت تعاني الفقر والانعزال إلى مصاف القوى الكبرى؟

لقد أشار إلى بعض هذه الاتجاهات الصحفي الباكستاني المعروف

جاويد تشودري في مقاله الأردي المطول حول اللعبة السياسية العالمية الكبرى، والمنشور على منصته JavedCh.com بعنوان:

اللعبة الكبرى - الجزء الرابع

وسنقتطف من طرحه مع الشكر له، ونستوحي منه بعض المعلومات المهمة، ، ثم نعيد توظيفها ضمن السردية التي نريد أن نقف عندها مع قرائنا الكرام.

"كان المهندس الحقيقي لهذا التحول التاريخي هو الزعيم الصيني دنغ شياو بينغ، الذي تولّى قيادة الصين بعد ماو تسي تونغ، وأطلق منذ عام ١٩٧٨ سياسة الانفتاح الاقتصادي على العالم. بدأ أولًا بإصلاح القطاع الزراعي، فسمح للمزارعين ببيع فائض إنتاجهم في الأسواق، ثم أسّس المناطق الاقتصادية الخاصة، ووفّر فيها للمستثمرين الأجانب تسهيلات واسعة وإعفاءات ضريبية، ففُتحت بذلك أبواب الصين أمام التجارة والاستثمار العالميين.

وكانت النتيجة أن الصين أخذت تتحول بوتيرة متسارعة إلى أكبر مركز صناعي في العالم. ويبلغ عدد الشركات والمصانع فيها اليوم نحو ١٨٨ مليونًا و٥٠٠ ألف منشأة. ففي عام ٢٠٢٤ بلغ عدد الشركات المسجلة ٥٥ مليونًا و٢٠٠ ألف شركة، ثم ارتفع في عام ٢٠٢٥ بإضافة ٢٥ مليونًا و٨٠٠ ألف شركة جديدة.

ويُفتتح في الصين يوميًا، في المتوسط، ستة وعشرون ألف مشروع جديد، وهي من أعلى المعدلات عالميًا. ومن بين هذه المؤسسات، يوجد أربعمائة ألف شركة يتجاوز مجموع دخلها السنوي ٤,٨ تريليون دولار، علمًا بأن التريليون يساوي ألف مليار دولار.

وتضم الصين نماذج صناعية مذهلة؛ فهناك شركة تُدعى دانغ يانغ تشوجي، متخصصة في صناعة الجوارب فقط، ومع ذلك تنتج سنويًا خمسةً وعشرين مليار زوج من الجوارب. كما تُعدّ مدينة دانغ يانغ مركزًا عالميًا لصناعة العدسات البصرية.

وفي مدينة سوتشو تقع حديقة صناعية تبلغ مساحتها ٤٨٨ كيلومترًا مربعًا، وتضم اثنتين وعشرين ألف شركة عالية التقنية. أما حديقة العلوم في تشونغ غوان تسون فتبلغ مساحتها ٢٧٨ كيلومترًا مربعًا، وتجري داخلها شبكة قطارات منتظمة.

وخلال خمسةٍ وعشرين عامًا فقط، شهدت الصين أكبر عملية تحضّر عمراني في التاريخ الحديث، إذ انتقل نحو خمسمائة مليون شخص من الأرياف إلى المدن، وأنشأت البلاد في المدة نفسها خمسمائة مدينة جديدة بُنيت من الصفر، بمعدل عشرين مدينة حديثة كل عام.

وفي كل سنة يُقام عيد الربيع الصيني من الثاني من فبراير إلى الثالث عشر من مارس، لمدة أربعين يومًا، وتشهد هذه الفترة أكبر حركة تنقل بشري في العالم. ففي عام ٢٠٢٦ سُجّل خلالها تسعة مليارات ونصف رحلة سفر، أي بمعدل سبع رحلات تقريبًا لكل فرد خلال تلك المدة، عبر وسائل النقل العام والطيران. وهذا يعكس الحجم الهائل للنشاط الاقتصادي الصيني.

ومن المعلوم أن الاقتصاد الأكبر يحتاج إلى طاقة أكبر، ولهذا تُعدّ الصين اليوم أكبر مشترٍ للنفط والغاز في العالم؛ فهي تستورد يوميًا أحد عشر مليون برميل من النفط، وثلاثمائة وأربعة عشر مليون متر مكعب من الغاز، ولا يستطيع اقتصادها الاستغناء عنهما.

فعلى سبيل المثال، تُعدّ شنغهاي أكثر مدن العالم استهلاكًا للكهرباء،

إذ يبلغ استهلاكها ٢١٠ مليارات كيلوواط، وهو ضعف إجمالي إنتاج الكهرباء في باكستان. وحتى مدينتا نيويورك وطوكيو مجتمعتين تستهلكان أقل من ثلث ما تستهلكه شنغهاي.

ولهذا يمكن القول إن روح الاقتصاد الصيني معلّقة بالنفط والغاز؛ فإذا انقطع هذان الموردان تعطّل نحو تسعين في المائة من نشاطه الاقتصادي، والولايات المتحدة تدرك هذه الحقيقة جيدًا.

وقبل صعود الصين، كانت الولايات المتحدة تتصدر العالم في الصناعة والإنتاج. وعندما بدأت الصين تنهض، رحّبت أمريكا بذلك في البداية، لأن تكاليف الإنتاج لديها كانت مرتفعة، وكذلك الأجور وأسعار الطاقة، فضلاً عن التلوث الصناعي. وعندما شرعت الصين في إنتاج السلع بالمواصفات الأمريكية، لكن بأسعار أقل وكميات أكبر، اندفع رجال الأعمال الأمريكيون والأوروبيون إلى التصنيع فيها، حتى إن الأعلام الأمريكية نفسها أصبحت تُصنع في الصين وتحمل عبارة: صنع في الصين.

"Made in China"

والصينيون في غالبيتهم لا دينيون أو بوذيون، ومع ذلك تُنتج الصين أكبر كمية في العالم من سجاجيد الصلاة، والمسابح، والصلبان، وتماثيل السيد المسيح عليه السلام، كما تُصدّر إلى الهند مليارات الأصنام والتماثيل الخاصة بدياناتهم.

لقد اتضح ايضا اليوم أن الصين كانت شديدة الذكاء؛ فمن جهةٍ كانت تُصنِّع المنتجات الأوروبية والأمريكية، ومن جهةٍ أخرى كانت تعمل في الوقت نفسه على تطوير علاماتها التجارية الخاصة(مايسمى بترينذز). وكانت هذه (الترينذز) العلامات التجارية الصينية في بداياتها دون المستوى المطلوب، ولذلك لم تشعر أوروبا والولايات المتحدة بأي خطرٍ منها. لكن

عام ٢٠١٦ جاء كنقطة تحوّل، إذ أحدثت العلامات الصينية صدمةً كبيرة في الأسواق الأوروبية والأمريكية، ولأول مرة بدأت القوى الكبرى تشعر بالخطر الحقيقي. وفي ظل هذا المناخ وهذه التحولات بدأ دونالد ترامب مسيرته السياسية، وأخذ يرفع شعار: «لنجعل أمريكا عظيمةً من جديد». وكان يعتقد أنه إذا لم يتم كبح الصين، فإنها ستبتلع الغرب بأسره.

عاد بهذه الفكرة إلى الرئاسة للمرة الأولى سنة ٢٠١٧م، فبدأ بمواجهة الصين وروسيا، لكنه لم ينجح. وبعد دونالد ترامب أصبح جو بايدن رئيسًا، وكان سياسيًا تقليديًا لا يتفق مع أفكار ترامب، ولذلك كانت سنوات بايدن الأربع كارثية على الاقتصاد الأمريكي، وبدأ الناس يرون أملهم في فلسفة دونالد ترامب. فاستفاد ترامب من هذا المزاج، وعاد رئيسًا للمرة الثانية سنة ٢٠٢٥م، وما إن جاء حتى بدأ يخنق الصين، أي شرع في إغلاق صنبور النفط والغاز عنها.

ولو اقتصر الأمر على النفط والغاز فقط لربما كان محتملاً، لكن دخل في القضية عنصر آخر، وهو المعادن الأرضية النادرة.

ففي العالم المعاصرإن سبعة عشر عنصرًا معدنيًا كيميائيًا أوجدتها الطبيعة بكميات قليلة جدًا، لكنها بالغة الأهمية لتكنولوجيا المستقبل؛ فلا يمكن تحقيق التفوق الجوي من دونها، ولا صناعة السيارات الكهربائية، ولا تكنولوجيا الأقمار الصناعية. وهذه المعادن هي: الليثيوم، والسيريوم، والبراسيوديميوم، والنيوديميوم، والبروميثيوم، والساماريوم، والغادولينيوم، والتربيوم، والديسبروسيوم، والهولميوم، والإربيوم، والثوليوم، والإيتربيوم، واللوتيتيوم، والسكانديوم، والإيتريوم.

وكانت الصين أول دولة في العالم أدركت أهميتها، فسعت منذ سنة ١٩٩٠م إلى السيطرة عليها. وخلفية هذا الإدراك لا تخلو من إثارة؛ ففي سنة

١٩٢٧م اكتُشفت هذه المعادن لأول مرة في بلدة بيان أوبو (Bayan Obo) في منغوليا. ولما علمت الشركات الأمريكية بذلك بدأت العمل عليها في منغوليا. ثم التفت إليها العلماء الصينيون في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وازداد وعيهم بأهميتها تدريجيًا.

وفي ثمانينيات القرن الماضي كلّف دنغ شياو بينغ علماءه بتحقيق احتكار هذا المجال خلال خمس سنوات، وقد تحقق الهدف فعلاً، فبحلول سنة ١٩٨٦م أصبحت الصين أكبر مصدّر للمعادن الأرضية النادرة في العالم.

وفي تلك الفترة لم تكن في أمريكا سوى شركة واحدة تعمل في هذه المعادن، وهي شركة إم بي مينيرلز، فاشترتها الصين أيضًا، وبذلك أصبح هذا المجال خاضعًا بالكامل لسيطرتها.

وكان هذا إنجازًا كبيرًا إلى درجة أنّ دنغ شياو بينغ أعلن عام ١٩٩٢م قائلاً:

إذا كان الشرق الأوسط يملك النفط، فإننا نملك المعادن الأرضية النادرة.

ومنذ ذلك الحين واصلت الصين العمل عليها بصمت، حتى أصبحت بحلول عام ٢٠١٠م تنتج ٩٥٪ من المعادن الأرضية النادرة في العالم.

ومع ظهور الحواسيب، والحواسيب المحمولة، والهواتف المحمولة، ازدادت أهمية هذه المعادن أكثر فأكثر. ففي هواتفنا المحمولة يوجد مغناطيسان قويّان للغاية، لا يزيد حجم كل واحد منهما على زرّ القميص، وهذان المغناطيسان يلتقطان الموجات الموجودة في الهواء، فتصل الأصوات والصور إلى شاشاتنا. وهذه المغناطيسات تُصنع من المعادن الأرضية النادرة.

كما تُستخدم هذه المعادن نفسها في الهواتف المحمولة، والحواسيب

المحمولة، والسيارات الكهربائية، ومحولات الألواح الشمسية، والبطاريات، والطائرات المقاتلة، والصواريخ، والطائرات المسيّرة، والأقمار الصناعية. والعالم كلّه يشتري هذه المعادن من الصين.

وهل تأمّلتم يومًا لماذا تصنع كبرى العلامات التجارية الإلكترونية في العالم هواتفها المحمولة، وحواسيبها، وكاميراتها، وسياراتها، ومعدّاتها الدفاعية في الصين؟ لأن الصين تمتلك المعادن الأرضية النادرة، وتوفّر هذه المواد لشركاتها بأسعار منخفضة، فتُنتج هذه السلع في الصين بتكلفة زهيدة، بينما تضطر الدول الأخرى إلى استيراد هذه المواد، فتغدو منتجاتها أغلى بثلاثة أضعاف.

وبعدما أصبح دونالد ترامب رئيسًا عام ٢٠٢٥م، فرض رسومًا جمركية على الصين، فردّت الصين برفض تزويد الولايات المتحدة بالمعادن الأرضية النادرة، فحدثت أزمة تكنولوجية في أمريكا. وعلى إثر ذلك أطلق الرئيس الأمريكي على وجه السرعة مشروعًا خاصًا بهذه المعادن.

وكانت قد اكتُشفت حديثًا معادن أرضية نادرة في منطقة سيرا فيردي بالبرازيل، فاستثمر ترامب في أبريل ٢٠٢٦م (في هذا الشهر نفسه) مبلغ ٢,٨ مليار دولار في تلك الشركة، كما أعلنت الحكومة الأمريكية تقديم مساعدات وقروض تصل إلى ١٥٠ مليون دولار للشركات العاملة في هذا القطاع، وبدأت حملة وطنية تحت عنوان: البحث العاجل.

كما استثمر البنتاغون ٤٠٠ مليون دولار في شركة ايم بي ايم، فانطلقت في أمريكا سباقات محمومة في مجال المعادن الأرضية النادرة.

والسؤال الآن: أين تقع إيران في هذه اللعبة؟

إنّ إيران وباكستان كلتيهما داخل هذه اللعبة الكبرى. ويرى خبراء الجيولوجيا أنّ إقليم بلوشستان الباكستاني ومنطقة سيستان الإيرانية

يحتويان على احتياطات هائلة من المعادن الأرضية النادرة، ولو أصبحت هذه الموارد بيد أمريكا لانتهى احتكار الصين وقدرتها على الابتزاز.

والصين تدرك هذه الحقيقة جيدًا، ولذلك فهي لا تريد أن تفقد نفوذها على إيران ولا على باكستان.

أما جوهر اللعبة فهو أنّ إيران، إلى جانب امتلاكها ثاني أكبر احتياطي من النفط والغاز في العالم، تملك كذلك المعادن الأرضية النادرة. والإيرانيون يبيعون هذه المعادن للصين منذ سنوات. وفي ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٥م، أهدى المشير الباكستاني الجنرال عاصم منير لدونالد ترامب في البيت الأبيض معادن بلوشستان الأرضية النادرة، وبهذا أراه الطريق إلى باكستان. فأصبحت كلٌّ من باكستان وإيران ذات أهمية كبيرة لأمريكا.

وفي ٣ يناير ٢٠٢٦م، سيطر دونالد ترامب على فنزويلا التي تملك أكبر احتياطي نفطي في العالم، وهو الآن يريد السيطرة على إيران أيضًا ليضع يده على ثاني أكبر احتياطي من النفط والغاز، فضلاً عن المعادن الأرضية النادرة.

أما النفط العربي فهو أصلاً في متناول يده، وهكذا يريد أن يضع يده على أنابيب النفط والغاز، وعلى المعادن الأرضية النادرة في بلوشستان وسيستان، حتى يكسر احتكار الصين. إنها لعبة... بل اللعبة الكبرى". إننا ألقينا بعض الأضواء على مسيرة صين التقدمية السريعة فكيف توفر لها هذا كله سوف نناقشها في العدد القادم بإذن الله.

والجزء الكبير من هذه اللعبة في نظري أنا، يتمثّل في إحكام قبضة إسرائيل، وتقويتها وتعزيزها عسكريًا واقتصاديًا، حتى لا يبقى في المنطقة بأسرها أيُّ طرفٍ مناهضٍ لها. فإنّ أمريكا تريد أن تنسحب من منطقة الشرق الأوسط،

وأن تحلّ محلّها إسرائيل بوصفها قوةً كبرى مهيمنة على كامل المنطقة الخليجية.

وبذلك تسعى أمريكا إلى السيطرة على ممتلكات الخليج وثرواته ومعادنه من خلال إسرائيل، كما تريد ـ من جهةٍ أخرى ـ تطويق الصين والحدَّ من تمدّدها. يكاد المحللون السياسيون يجمعون على أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تحتاج إلى إشعال دائرة حربٍ مستمرة لتسيير إدارتها العسكرية الضخمة؛ إذ إن مؤسساتها العسكرية، المصنِّعة لأحدث الأسلحة الفتّاكة، تفتقر دائمًا إلى بقاء الحروب والقتالات دائرة هنا وهناك في العالم، حتى تبيع أسلحتها إلى الفئات والدول المتقاتلة، وتربح من ذلك مليارات ومليارات سنويًا.

ولا تحتاج لهجماتها القاتلة الفضائية إلا إلى بعض الحجج الواهية المتوهَّمة التي توفّرها لها إدارات الموساد ووكالة المخابرات المركزية.(CIA)

وقد أضعفت إدارة دونالد ترامب كثيرًا الأمم المتحدة إلى حدٍّ لا يكاد يُسمع لها صوت في هذه الأيام.

ولمّا كانت إيران، بوصفها "الولد الشرير"، تمثّل تحدّيًا كبيرًا أمام هذه الطموحات الأمريكية، فقد كان من الضروري ـ في نظرهم ـ التصدّي لها وإنهاء نفوذها؛ ولذلك وقعت تلك الهجمات الأمريكية الإسرائيلية المشتركة على إيران في الثامن والعشرين من فبراير الماضي. والآن وقد توجّه الأمريكي دونالد ترمب إلى بكين للقاء الرئيس الصيني شي جين بينغ،والذي سيتغرق ثلاثة أيام، فيما يترقّب العالم بأسره نتائج هذه القمّة المنتظرة بين زعيمين من أبرز قادة العالم، مصغيًا باهتمام بالغ لما ستسفر عنه من مخرجات قد يتوقف عليها مستقبل الأحداث الجارية اليوم في منطقة الشرق الأوسط وما يتجاوزها.

أما عددنا الحالي، شأنه شأن الأعداد السابقة، فقد جاء حافلاً بالبحوث الشرعية القيّمة، ومزينًا بفصول فكرية نافعة، إلى جانب جهود أدبية وشعرية راقية تبعث المتعة والفائدة معًا.

أخوكم في الدين،
أ. د / محمد غطريف شهباز الندوي
(١٤ مايو ٢٠٢٦م، علي كره)

دعوة للكاتبين والباحثين للمشاركة في مجلة "الإشراق" الإسلامية الشهرية العربية

تدعو مجلة "الإشراق" الإسلامية الشهرية العربية الكاتبين والباحثين وأصحاب الأقلام المبدعة إلى المشاركة بأبحاثهم ومقالاتهم ودراساتهم في أعدادها القادمة، إسهامًا في إثراء الساحة الفكرية والأدبية، و خدمةً للغة الضاد وثقافة الأمة الإسلامية.

تعنى المجلة بتسليط الضوء على القضايا الفكرية والدينية المعاصرة، في ضوء المنهج القرآني، ومقاصد الإسلام، والتجربة الإصلاحية المتزنة. كما تفتح صفحاتها لكل قلم ملتزم، يسعى إلى تقديم معرفة أصيلة، وتحليل عميق، بلغة عربية فصيحة وأسلوب رصين.

وتشمل محاور النشر – دون حصر – ما يلي:

١- الدراسات القرآنية والأحاديث النبوية
٢- التزكية والتربية
٣- الفكر الإسلامي المعاصر
٤- نقد التراث وتجديد الخطاب

٥- قضايا الأمة والنهضة الإسلامية

٦- الشعر والأدب

٧- ترجمات علمية هادفة من لغات أخرى إلى العربية

شروط النشر:

أ- أن تكون المادة أصيلة، غير منشورة سابقًا.

ب- الالتزام بمنهج البحث العلمي والأمانة الفكرية.

ج- سلامة اللغة والأسلوب.

د- أن ترسل بصيغة Word

هـ- مع سيرة ذاتية مختصرة للكاتب.

✉ ترسل البحوث والدراسات على البريد الإلكتروني الآتي:

mohammad.ghitreef@gmail.com

usmanfarooq710@gmail.com

بقلم : الأستاذ محمد حسن الياس*
نقله إلى العربية: عثمان فاروق

مآلات الصراع الإيراني-الأمريكي وأسباب نجاح باكستان

(الحلقة الثانية والأخيرة)

وهنا تبرز حقيقة أخرى جديرة بالفهم. إن العالَم اليوم، حين يتحدّث عن المبادئ الأخلاقية، وقوانين الحرب، وآليات التفاوض، ووقف إطلاق النار، وحقوق الإنسان، والمسوغات القانونية، فإن قسطا كبيرا من هذه المفاهيم إنما نشأ أصلا حين فرضت القُوى المنتصرة نفسها بعض القيود والضوابط. وصحيح أنه حيثما تواجه تلك القوى تحديا حقيقيا لتفوقها، فإنها قد تنحرف عن هذه المبادئ؛ غير أن من الصحيح أيضا أن البيئة الدولية المعاصرة تبدو، بالمقارنة مع عصور التاريخ السابقة، أكثر تهذيبا وتنظيما.

فقد بات هناك، على الأقلّ، هامش يتيح الحديث عن التفاوض بدلا من الحرب، وعن التعايش بدلا من الإبادة الشاملة، وعن التسويات السياسية بدلا من الصدام المفتوح. ولهذا فإن معالجة النزاعات في العالَم الحديث لا تقوم على وهم القضاء التام على الخصم، بل على البحث عن ترتيبات سياسية قابلة

* مدير البحوث والاتصال بـ مركز غامدي للتعلّم الإسلامي (GCIL) أمريكا

للتحمل. فالنزاعات السياسية تُدار بأدوات سياسية، ولا تُبنى على تصوّرات الإلغاء الكامل للطرف الآخر.

ومن هذه الزاوية، تبدو سياسة إيران وكأنها تقف خارج سياق الزمن، إذ آثرت الإبقاء على حلم الإلغاء التام، بدلا من الانخراط في منطق التعايش والتسويات الممكنة.

وقد كشفت الأحداث الأخيرة، مرة أخرى، عن حقيقة ميزان القوة القائم. فالأسلوب الذي استُخدمت فيه التقنيات الحديثة، وقدرات الاستخبارات، والتفوّق الجوّي، والضربات المنسقة لاستهداف المواقع وتصفية القيادات، دلّ بوضوح على أن الفجوة المتراكمة في مجالات الاقتصاد، والدفاع، والتقنية، وكفاءة الدولة ليست فجوة يسيرة.

فالطرف الذي بادر بالهجوم ظلّ، بما يملكه من رأس مال، وتقنية متقدمة، وتنظيم عسكري محكم، ودعم دولي واسع، في مأمن إلى حدّ كبير؛ في حين أن الساحة التي جرى فيها هذا التصادم تكبدت فيها الدول والمجتمعات المسلمة المحيطة القسط الأكبر من الخسائر. فلم تتزعزع أسس القوة الاقتصادية لدى الطرف الأقوى، ولا طرأ تحول جوهري على قدراته العسكرية.

وفي المقابل، تجدّد داخل الأوساط الدينية ذلك الحماس الذي يوحي وكأن العالَم يقف على أعتاب أفول قوة كبرى؛ غير أن الحصيلة العملية جاءت، مرّة أخرى، على النحو الذي تكرّر مرارا: إذ كان لا بُدّ من العودة إلى طاولة التفاوض نفسها، حيث يكون ميزان القوة قد حسم الإطار سلفا، وحيث تُقبل الشروط ضمن الحدود التي رسمتها الوقائع على الأرض. يرتفع الضجيج كثيرا، لكن الخاتمة تظل، في نهاية المطاف، مرهونة بخريطة القوة الحقيقية.

وقد دفع الشعب الإيراني نفسه ثمنا باهظا لهذا المسار برمته. فقد فُرضت قيود على الاقتصاد، وتعرضت العملة لضغوط متزايدة، وتفاقم الشعور بعدم

اليقين لدى الجيل الشاب، وبرزت مظاهر الاضطراب الداخلي، فيما استُنزف جانب كبير من موارد الدولة في الساحات الخارجية والأولويات الأيديولوجية. وهكذا، في الوقت الذي جرى فيه الحفاظ على وهج الثورة ورمزيتها، تراجعت الحاجات العملية للمجتمع، من اقتصاد ورفاه وفرص عمل واستقرار داخلي وتطور مؤسسي، إلى الصفوف الخلفية.

وعند هذه النقطة يتجلى فرق جوهري: فالثورة ليست هي الدولة. فالثورة يمكن أن تقوم على الشعارات، والتضحية، والتصادم، واستدامة التعبئة، أما الدولة فلا تقوم إلا على أسس الاقتصاد، والنظام، وبناء المؤسسات، والدبلوماسية، والتوازنات المستقرة. وحين تعجز دولة ما عن الخروج من مزاج الثورة الدائم، فإنها تنتهي، في المحصلة، إلى تقييد إمكاناتها الذاتية وتقليص آفاقها.

وفي ظل هذا السياق كله، يبرز السؤال الجوهري:

ما تعريف النجاح؟

أهو أن تنشأ بضعة شبكات مسلحة، وأن يسود قدر من الخوف في الإقليم، وأن يتحقق نفوذ مؤقت؟

أم أن النجاح يتمثل في أن تبني الدولة اقتصادا قويا، ومؤسسات مستقرة، وحدودا آمنة، ومكانة دولية متقدمة، ودبلوماسية موثوقة، وأن تضمن لشعبها مستقبلا كريما؟

إذا اعتُمد المعيار الثاني، فإن التجربة الإيرانية الممتدة لنحو نصف قرن تحتاج إلى إعادة نظر شاملة؛ إذ إن معيار النجاح الحقيقي لا يتمثّل في ارتفاع الشعارات في مواجهة الخصوم، بل في القدرة على توفير حياة آمنة وكريمة للمجتمع.

وفي المقابل، إذا أمعن النظر في تجربة باكستان، برزت بعض الجوانب الإيجابية. فعلى الرغم من أن باكستان تحرّكت دائما في بيئة معقدة لحماية مصالحها، فإنها، في مجمل الأمر، لم تسمح بتحويل نزاعاتها السياسية إلى حرب

دينية شاملة، وحافظت على قدر من الواقعية في علاقاتها مع القوى الكبرى بدلا من الانزلاق إلى صدام مفتوح، كما ركزت على تعزيز قدراتها الدفاعية بشكل تدريجي. وقد أتاح لها هذا النهج فسحة من الوقت، ومجالا عمليا للمناورة، مكّنها من إيجاد موقع لها داخل النظام الدولي.

بل إنها نجحت، في هذا الإطار، في امتلاك قدرة نووية لضمان أمنها. ولم تكن هذه النتيجة ثمرة شعارات عاطفية، أو أحلام ثورية، أو اندفاعات آنية، بل جاءت حصيلة سياسة طويلة النفس، هادئة في ظاهرها، واقعية في جوهرها، ومنسجمة مع منطق الدولة ومقتضياتها.

وفي السياق الباكستاني يبرز بعد آخر جدير بالتأمل. فقد ظلت بعض القوى الدينية تميل إلى دفع الدولة نحو تبني نهج عاطفي تصادمي، على غرار ما يظهر في التجربة الإيرانية؛ نهج يقوم على تحويل النزاعات السياسية إلى معارك ذات طابع ديني، وعلى إدارة العلاقة مع القوى الكبرى بمنطق الشعارات والحماسة بدلا من الواقعية، وعلى إخضاع الاستراتيجية الوطنية لجو انفعالي يمنح زخما آنيا، لكنه يهمش مصالح الدولة ونتائجها بعيدة المدى.

غير أن المجتمع الباكستاني، ومعه القوى السياسية، ولا سيّما ما يتّسم به الجيش من جدية عملية ونضج مؤسسي، حال دون الانجراف الكامل في هذا المسار. فقد أسهمت هذه الرصانة في سد منافذ الانزلاق وراء موجات الحماس، وفي تجنيب الدولة السير إلى نهايات غير محسوبة شهدت آثارها تجارب أخرى.

ومن هذه الزاوية، تقدّم التجربة الباكستانية درسا بليغا مفاده أن الأمن القومي، والاستراتيجية الدفاعية، والعلاقات الدولية، لا يجوز أن تُترك رهنا للعاطفة؛ بل تتطلب قدرا من الهدوء في التقدير، ونظرا واقعيا، ونضجا مؤسسيا راسخا.

وإذا كان من هذا المسار كله درس جامع، فإنه يتمثل في أن النزاعات السياسية

في عالم اليوم لا بد أن تُقارب من زاوية عواملها السياسية، لا من خلال إضفاء قداسة دينية عليها؛ وأن التعامل مع القوى الكبرى ينبغي أن يقوم على توازن عملي، لا على خطاب أخلاقي مجرد؛ وأن استحضار أمجاد الماضي لا ينبغي أن يكون ستارا يوارى به ضعف الحاضر، بل حافزا لفهم الموقع الحقيقي، والموارد الفعلية، والإمكانات المتاحة.

وقد أخذت بعض الدول العربية، إلى حد كبير، بهذا المنهج الواقعي. وهو الطريق الذي يمنح الأمم فسحة من الوقت، ويوفر لها مجالا للتنفس، ويفتح أمامها فرصة بناء مستقبلها. أما في غياب ذلك، فإن الخطابات العاطفية قد تظل حية، لكن الدول تواصل التآكل والضعف.

والدول التي تنجح في إدراك تحوّلات العصر، وتستخرج لنفسها مسارا ملائما في ضوء تلك التحوّلات، هي التي تبلغ في نهاية المطاف موضعا أكثر رسوخا في البقاء، وأثبت قدما في الكرامة، وأقدر على امتلاك عناصر القوة المستدامة.

كلمة للدكتور راشد شاز*
تفريغ النص الأردي من الفيديو** وصياغته بالعربية: عثمان فاروق

هل يمكن للإسلام أن يبقى في ظلّ نظام الدولة القومية(Nation State) ؟

(الخلافة، الأمّة، وعالَمٌ إسلامي منقسمٌ ...)

هل الخلافة أو الإمامة جزء من الإيمان؟ إذا سُئلتم: ما أركان الإيمان؟ فستقولون: الإيمان بالله، وبالرسالة، وبالآخرة، ولا يقول أحد إنّ الخلافة داخلة فيها. ولكن، أليس إقامة العدل جزءا من الإيمان؟ أليس منع الظلم جزءا من الإيمان؟ إن القرآن يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ فهل النظام الذي يقيم العدل خارج عن دائرة الإيمان؟ ليست الخلافة ركنا من أركان الإيمان، ولكنها نظام يواصل مسيرة مهمة النبي عليه الصلوة والسلام ويمضي بها قدمًا.

لقد قِيل لنا إنّ الخلافة تصوّر قديم، ولا يمكن تحقيقه في العالَم الحديث،

---

* العالم والمفكر والكاتب والناقد المعروف الهندي وأستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة علي كره الإسلامية.

** الرابط للكلمة:

https://youtu.be/zJ-YdbYPmG4?si=KwZ6nzj0OrRkHp9T

وإنها تعارض الحرية والأفكار العصرية وحرية الفكر، فسلمنا بذلك. وفي الحقيقة، كثيرا ما نسلم بأمور دون أن نسأل: من أين جاءت؟ ولماذا جاءت؟

ولكني أطرح عليكم اليوم سؤالا دقيقا:

إذا كانت الخلافة غير ضرورية فعلا، فلماذا بذل كل هذا الجهد لإنهائها؟ وليس الأمر مجرد إنهائها فقط، بل لماذا، إلى اليوم، إذا سمع ذكر الخلافة، أو دار حولها نقاش نظري، يبدو كأن في الأوساط الفكرية والسياسية في الغرب قلقا واضطرابا وخوفا؟ لماذا يُقال على الفور إنها صوت خطير متطرّف ويقال إنه يعارض العالم الحديث.

ولكن عندما سقطت الخلافة، لم يكن ذلك مجرّد زوال مؤسّسة سياسيّة، بل نشأ في داخل الأمة فراغ فكريّ. حتى في مناطق مثل الهند، حيث لم تكن الخلافة موجودة مباشرة، قامت حركة كبيرة لإعادتها. وبدأ الناس يبحثون عن خليفة بديل، وطرحت أسماء: شريف مكة، وملك مصر فؤاد، بل وحتى نظام حيدر آباد.

أما نظام حيدر آباد، وكان حاكما مسلما قويا، ذا موارد واسعة وسلطة نافذة، فقد كان قادرا على كثير من الأمور، والحقيقة أنه قد فعل كثيرا. فبعد غياب الخلافة، تحمل إلى حد ما مسؤوليات الخليفة؛ فتكفل بشؤون مكة والمدينة ونفقاتهما وخدمتهما. وليس هذا فقط، بل قدّم الدعم أيضا لأسرة آخر خليفة؛ فزوّج ابنتيه من ولديه وأسكنهما في بيته وخصّص مبلغا كبيرا لنفقة معيشتهما. أي إنه كان يساند بموارده مؤسسة الخلافة وهي في حال انحدار، ولكنه لم يكن يستطيع أن يعلن نفسه خليفة، ولم يكن بإمكانه أن يعلن إحياء الخلافة؛ لأن القُوى التي كان يستند إليها هي نفسها التي هدّمت مؤسسة الخلافة.

فليست هذه قصّة شخص واحد، بل هي قصة عصر بأكمله؛ عصر كانت النيّة فيه موجودة، والموارد متوافرة، ولكن الحرية كانت غائبة. فما السبب في ذلك؟ ولماذا يحدث هذا؟

إن تقسيم المسلمين إلى دُوَل قوميّة، وإلى فِرق وجماعات، يُعدّ أمرا مقبولا، بل يجري التشجيع عليه، ولا يواجه باعتراض. ولكن ما إن تذكر 'المركزية'، أو يستحضر مفهوم 'الأمة'، أو ينطق بلفظ 'الخلافة'، حتى يتولد خوف وقلق. وذلك لأن الخلافة ليست مجرد مؤسسة سياسية، بل هي مركزية فكرية ومحورية أيديولوجية (Ideological Centrality) تربط المسلمين بسلسلة تاريخية متصلة، تبدأ بالرسول ﷺ، ثم أبي بكر، عمر، عثمان، وعلي رضي الله عنهم؛ سلسلة تبقي مهمة حيّة في العالَم.

وليست مجرّد حكومة بل هي رؤية (Vision)؛ بمقتضاها تعد الأرض أمانة، وتعدّ الأمة الأخيرة مسؤولة عن رعايتها وحفظها. ويجب علينا أن نمنع الظلم ونقيم العدل وألا نهدر الموارد، وأن نصون حقوق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية. وينبغي أن ينال كل إنسان، مهما كان دينه أو عرقه، حياة كريمة.

وليس هذا مجرّد سياسة، بل هو مسؤولية حضارية (Civilizational Responsiblity)، ومن هنا يتعمّق السؤال أكثر.

هل يمكن تحقيق كل ذلك في إطار الدولة القومية؟

أم ينبغي أن نسأل: هل الدولة القومية تفكك هذه الرؤية وتجزئها؟

فنعود إلى سؤالنا الأصلي: هل يستطيع الإسلام أن يظلّ حيّاً في إطار الدولة القومية؟

وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد أن ننظر فيما يقوله القرآن، وما الذي حدث في المدينة المنوّرة، وكيف نظم الإسلام الأمة.

والآن نتجه إلى القرآن: ماذا يخبرنا القرآن عن الأمة؟ ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. وليس هذا فحسب، بل يحذرنا القرآن أيضا: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. فانظروا حولكم: هناك تنازع، وهناك ضعف كذلك. وليس هذا كلامًا مجرّدًا، بل هو واقعنا السياسي: دُوَيلات إسلامية صغيرة، لكل منها حدودها، وعلى تلك الحدود نزاعات مستمرة. وهذه الحدود لم نرسمها نحن، بل رسمتها قوى خارجية، دون مراعاة للتاريخ أو للانتماء أو للهوية الحضارية، ولا الأصول العرقية ولا الروابط العائلية.

أنظروا إلى الأكراد، أمة واحدة قسمت بين عدّة دُوَل. وانظروا إلى عائلات واحدة تفرق أفرادها في بلدان مختلفة. الهند وباكستان وبنغلاديش، لم تقسم الأرض فقط بل تقطعت الروابط والعلاقات. ثم أصبحت هذه الحدود (Boarders) نفسها سببا للنزاع؛ فهي ليست مجرد خطوط على الخريطة بل نظام ينتج الصراع(Conflict Generating System) . فحيثما وجدت الحدود وجد النزاع، وحيثما وجد النزاع وجد الضعف. الإنسان واحد، ولكننا قسمناه إلى أجزاء.

ولا يدعونا القرآن إلى الوحدة فحسب، بل يكلّفنا برسالة أيضا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ليس لأنفسكم فقط، بل للناس؛ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر. وهذا لا يتحقق على المستوى الفردي وحده، بل يحتاج إلى نظام جماعي، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فإقامة العدل لا تتم بالموعظة وحدها، بل تحتاج إلى قوة (Power) وإلى بنية منظمة (Structure). ويقدّم لنا القرآن تصوّرا للمسؤولية، ويقدم لنا تصورا للعدل ولاستخلاف الإنسان في الأرض، ولكن صياغة هذا التصور في بنية معينة هي مسؤولية كل زمان. وفي النهاية تسلم الأرض إلى الذين يديرونها بالعدل. ولا يفرض القرآن علينا

نموذجا سياسيا محددا، ولكنه يبين لنا أننا أمة واحدة، وأن علينا مسؤولية: أن نقيم العدل وأن نرعى الأرض ونحسن إدارتها. وهذا كله لا يمكن أن يتحقق دون نظام منظم.

(يُتبع ...)

الشيخ وحيد الدين خان رحمه الله
صاغه بالعربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دور الدعوة والداعية

(الحلقة الثامنة)

الدرس التاريخي

عند العلماء العِلمانيين يُعدّ "الطوفان العظيم" (Great Flood) أو العثور على سفينة نوح فوق جبل أرارات مجرّد قضية تاريخية، لكن من زاوية القرآن الكريم فهذا الحدث يحمل معنى أعظم، إذ يمثل درسًا كبيرًا للبشرية جمعاء.

هذا الحدث يذكّر بأن الطوفان الذي وقع في زمن نوح عليه السلام لم يكن سوى إنذار مبكر لطوفان أعظم سيأتي لاحقًا. فاكتشاف السفينة يُعدّ بمثابة إنذار للناس كي يستيقظوا ويستعدوا لذلك اليوم قبل فوات الأوان.

ونوح عليه السلام نبيّ ما قبل التاريخ المدوّن، لذلك لا نجد ذكره في المصادر التاريخية القديمة، لكن القرآن يصرّح بأن سفينة نوح ستبقى محفوظة لتكون آية للناس من بعده:

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر ٥٤: ١٥)

واكتشاف الطوفان العظيم وبقايا السفينة فوق جبل أرارات هو في

الحقيقة توثيق تاريخي (historical verification) لهذا البيان القرآني.

البُعد العِبري

ورد في حديث طويل بلسان المَلَك قوله: وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ، (صحيح البخاري، حديث رقم ٧٢٨١) أي أنّ محمدًا ﷺ هو الفارق بين الناس. وكلمة "فَرْق" معناها الفصل بين شيئين.

ومعنى الحديث أنّ الله سيُطلق من خلال محمد ﷺ رسالة تفرّق بين الصالحين وغير الصالحين، فيُجازَى فريق بالنعيم ويُعاقَب فريق آخر.

وهذا المعنى ليس خاصًا بالنبي ﷺ، بل هو سُنّة جارية في كل الرسل: كل نبي جاء برسالة الله ليقيم التمييز بين من يقبل الحق ومن يرفضه، ليترتب على ذلك الجزاء أو العقاب.

وقد ترك بعض الأنبياء شواهد تاريخية حاضرة إلى اليوم، لتظلّ تذكرة دائمة بمشروع الله في التاريخ.

مثال موسى عليه السلام

في مصر القديمة، أدى موسى عليه السلام دعوته، فانقسم الناس إلى فريقين:

١- فريق آمن به (بنو إسرائيل)

٢- فريق كفر به (فرعون وأتباعه)

ثم جرى قانون الله: نُجّي موسى وقومه، وأُهلك فرعون بالغرق.

وقد قال الله عند غرق فرعون:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس ١٠: ٩٢)

وقد تحقق هذا الوعد، فحُفظ جسد فرعون بالتحنيط في أهرام مصر، ثم كُشف في القرن التاسع عشر على يد علماء غربيين، وأثبتت فحوص

الكربون أنه عائد إلى فرعون المعاصر لموسى. هذا الجسد المعروض اليوم في متحف القاهرة يتحدث بصمت عن عاقبة المكذبين.

مثال نوح عليه السلام

نوح عليه السلام أُرسل في أرض العراق القديمة (بلاد الرافدين). ظل زمنًا طويلاً يذكّر قومه بأنهم في امتحان. فلما انتهت المهلة، جاء الطوفان.

نوح ومن آمن معه ركبوا السفينة، فنجوا، بينما غرق الآخرون. وقال الله بعد النجاة:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ...﴾ (هود ١١: ٤٨).

هذه الحادثة وقعت منذ خمسة آلاف سنة، حين لم تكن حضارة ولا تكنولوجيا. ولزمن طويل اعتبر الناس الطوفان مجرّد "أسطورة دينية"، لكن في القرن العشرين ظهرت أدلة أثرية:

١- وُجدت طبقات طينية في أور (Ur) بالعراق تدل على طوفان ضخم.

٢- وعُثر على بقايا السفينة مجمّدة تحت جليد جبل أرارات في شرق تركيا.

وقد صار بالإمكان رؤيتها من الجو، وتخطط الحكومة التركية لتحويل الموقع إلى منطقة سياحية.

البُعد الأخروي

كما أن نفخ إسرافيل في الصور سيكون إعلانًا صوتيًا لبدء القيامة، فإن ظهور سفينة نوح هو إعلان صامت عن نفس الحقيقة بلغة الحال.

وفي مؤتمر صحفي في هونغ كونغ (٢٥ إبريل ٢٠١٠)، أعلنت بعثة NAMI (Noah's Ark Ministries International) أنها متأكدة بنسبة ٩٩,٩% من أنّ

هيكلاً خشبيًا عُثر عليه على ارتفاع ١٢ ألف قدم في جبل أرارات، يعود إلى سفينة نوح، إذ يبلغ عمر الخشب ٤٨٠٠ سنة.

وقد أكد مسؤولون أتراك من إقليم "آغري" حضورهم المؤتمر، وأعلن وزير الثقافة والسياحة التركي ترحيبه بالاكتشاف معتبرًا أنه سيدعم السياحة.

سفينة نوح أو الدابّة

جاءت في القرآن آية في سورة النمل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. (٢٧: ٨٢)

أي: حين يقع القول عليهم نخرج لهم من الأرض دابّة تحدّثهم بأنّ الناس لم يكونوا يوقنون بآياتنا.

وقد ذكر القرآن والحديث معًا أنّ قبل يوم القيامة ستخرج دابّة. وظهور هذه الدابّة سيكون بمثابة نهاية عهد من عهود التاريخ الإنساني وبداية عهد آخر. فظهور الدابّة يُعدّ بمثابة الإتمام الأخير للحجّة على الناس جميعًا. وبعد ذلك سيقع الحدث نفسه ولكن على نطاق أوسع، وهو ما وقع في عهد نوح، أي إنقاذ الصالحين وهلاك غير الصالحين من خلال طوفان عظيم. غير أنّ هذا الطوفان سيكون طوفان القيامة.

وفي كتب الحديث وردت روايات عن الدابّة، وأصحّها ما جاء في صحيح مسلم، حيث ورد فيها أنّه قبل القيامة ستخرج دابّة (صحيح مسلم، حديث رقم ١٥٨). ولم يرد في هذه الرواية شيء مما ورد في الروايات الأخرى، مثل كون الدابّة معها عصا موسى أو خاتم سليمان وغير ذلك. وتلك الروايات الأخرى فيها كثير من التعارض، ولذلك اعتبرها العلماء

المحققون ضعيفة أو موضوعة، مثل الإمام الرازي، والعلامة الآلوسي، والعلامة الألباني (والمحقق الإمام شبير أحمد أزهر الميرتهي: المترجم) وغيرهم. والصواب أنّه ينبغي الاقتصار على ما ورد في صحيح مسلم، وأما التفاصيل الأخرى المنسوبة إلى الدابّة فهي غير معتبرة ويجب إهمالها.

تحقيق معنى الدابّة

المعنى اللغوي للدابّة هو :الزاحف أو ما يدبّ .واستعمالها لا يقتصر على الحيوان، بل تُطلق على كل ما يسير سيرًا بطيئًا أو يزحف. وهذا الاستعمال موجود في العربية وغيرها من اللغات. فيُقال مثلاً : *دبّ الشراب في عروقه* (أي *سَرَى* أثر الشراب في عروقه). ويُقال : *دبّ الجدول* (أي جرى الماء في النهر). ويُقال : *دبّ السقم في الجسم* (أي تسلّلت العلّة إلى البدن). ومن هنا سُمّي أحد أدوات الحرب بـ الدبّابة.

وقد استُخدم هذا المصطلح منذ القدم، إذ كانوا يصنعون مركبة على شكل حرف (U) مقلوب، يضعون تحتها عجلات، ويدخل فيها الجنود، ويدفعونها حتى يصلوا إلى أسوار الحصن، ثم يحدثون نقبًا ويدخلون منه. فسُمّيت هذه الآلة دبّابة. وهذه التقنية الحربية القديمة باقية إلى عصرنا الحديث، إذ بُنيت الدبابات العسكرية الحديثة على هذا المبدأ نفسه.

وجاء في *لسان العرب*» :الدبّابة: آلة تُتّخذ من جلود وخشبة، يدخل فيها الرجال، ويقرّبونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيم ما يرمون به من فوقهم".

كذلك في اللغات الأخرى يُستعمل لفظ "الزحف" في هذا المعنى التوسّعي. مثلاً: حين تسير القطار ببطء شديد يُقال: القطار يزحف. وقد كتب الروائي الأميركي جيمس بالدوين عن سفينة فقال *The old boat* :

(*creeps over the water no faster than a snail* أي: السفينة العتيقة تزحف فوق الماء أبطأ من الحلزون).

تفسير الآية

١. في قوله تعالى :﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ليس المعنى أنّها تنطق بالكلام، بل المعنى أنّها تدلّ وتشهد. وهذا الاستعمال ورد في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٣٥). أي: هل أنزلنا عليهم حجة تشهد بصحة شركهم؟ فكما أنّ الكلام هنا بمعنى الدلالة والشهادة، كذلك هو في آية النمل.

٢. في قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، المقصود بالآيات: العلامات والدلالات. وبيّن ذلك قوله تعالى في شأن نوح :﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨). أي: إنقاذ بعض الناس كما أُنقذ أصحاب السفينة، وهلاك الآخرين بالعذاب. فـ "السفينة" هي سفينة نوح، و"الدابّة" تشير إلى دورها كعلامة.

تقسيم آية الدابّة (٢٧: ٨٢)

١. ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي حين يقرّر الله إنهاء التاريخ الإنساني.

٢. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أي بظهور السفينة من تحت الغطاء الجليدي حين ينكشف بفعل العوامل الطبيعية.

٣. ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: أي أنّ على الناس حينئذٍ أن يرووا تاريخها ويُبرزوا العبرة منها، وأن ينهض المؤمنون بالقرآن لتبليغه للناس، لأنّ ظهور الدابّة سيكون تصديقًا لنبوءة قرآنية.

لماذا اختيرت السفينة؟

الصور (نفخة إسرافيل) هو الإعلان الناطق للقيامة، وسفينة نوح (الدابّة) هي الإعلان الصامت لها. فكما يُسمع الإعلان الأول بالأذن، يُرى الثاني بالعين. واختيار السفينة له أسباب:

١. الحاجة إلى اسم ملتبس وفق سنّة الله (كما في الأنعام ٩)، والدابّة يصلح أن يكون اسمًا ملتبسًا لها.

٢. الوسيلة الوحيدة التي تسير في الطوفان وتنقذ أناسًا وتهلك آخرين هي السفينة.

٣. يمكن أن تبقى آلاف السنين تحت الجليد، ثم تظهر.

٤. تتحول إلى أثر محفوظ (fossil) ليكون آية للناس.

إذن، كانت السفينة هي الأمثل لتكون "الدابّة". فهي "تدبّ" فوق الماء، وظهورها من تحت الجليد يُجسّد تمامًا معنى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾.

النتيجة

ذكر القرآن أنّ الدابّة "تُكَلِّمُ الناس"، أي تشهد عليهم بعدم اليقين بآيات الله، لكنه لم يقل إنّ الناس كلهم سيؤمنون بعدها. بل كما في عهد نوح، لن يؤمن إلا القليل، وأما الأكثرية فسيعرضون.

فالحق أنّ ظهور الدابّة (سفينة نوح) سيكون إعلانًا فقط، لا وسيلة لتحويل البشرية جمعاء إلى مؤمنين.

(يُتبع...)

القرآنيات

البيان*

الأستاذ جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(١٦)

وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ اِلَّا دُعَآءً وَّنِدَآءً ؕ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿١٧١﴾

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ ﴿١٧٢﴾

اِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ وَمَآ اُهِلَّ بِهٖ لِغَيْرِ اللّٰهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَّلَا عَادٍ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٧٣﴾

اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰبِ وَيَشْتَرُوْنَ بِهٖ ثَمَنًا قَلِيْلًا ۙ اُولٰٓئِكَ مَا يَاْكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ اِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٤﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ اَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾

ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ ؕ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِي الْكِتٰبِ لَفِيْ شِقَاقٍۭ بَعِيْدٍ ﴿١٧٦﴾

لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ ۚ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ ۙ وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ ۚ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ ۚ وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا

---

*ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير ''البيان'' للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقلها إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي.

عٰهَدُوْا ۚ وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِيْنَ الْبَاْسِ ۭ اُولٰۗىِٕكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا ۭ وَاُولٰۗىِٕكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ ﴿١٧٧﴾

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلٰى ۭ اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْاُنْثٰى بِالْاُنْثٰى ۭ فَمَنْ عُفِيَ لَهٗ مِنْ اَخِيْهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَدَاۗءٌ اِلَيْهِ بِاِحْسَانٍ ۭ ذٰلِكَ تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۭ فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يّٰٓاُولِي الْاَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴿١٧٩﴾

كُتِبَ عَلَيْكُمْ اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اِنْ تَرَكَ خَيْرَۨا ۚ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ۚ حَقًّا عَلَي الْمُتَّقِيْنَ ﴿١٨٠﴾

والحقيقة هي أن مثل أولئك الذين رفضوا (اتباع طريق الله هذا الرفض) هو كما لو أن الشخص يستحضر أشياء لا تسمع سوى النداء والصراخ. إنهم صم، بكم، عُمى، لذا فهم لا يفهمون شيئا. (١٧١)

يا أيها الذين آمنوا (إذا لم يتخلوا عن بدعاتهم هذه، فاتركوها على حالهم)، وكلوا من الخيرات التي رزقناكم إياها (دون تردد)، وكونوا شاكرين لله، إن كنتم تعبدونه فقط. لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنازير وماذبح باسم غير الله. ومن أجبر بطريقة لا يكون راغبًا فيها، ولا متعديا ، فلا إثم عليه. وإن الله غفور رحيم. (١٧٢-١٧٣)

(وقدعرف أهل الكتاب أن هذه هي الحقيقة، لكنهم أخفوها). في الواقع، أولئك الذين يكتمون الشريعة التي أنزلها الله ويقبلون ثمنا (دنيويا) زهيدا جدا في المقابل، لا يملأون بطونهم إلا بنار جهنم. لن يكلمهم الله في يوم القيامة ولا يطهرهم، و لهم هناك عقاب مؤلم. هم الذين اشتروا الضلالة بالإرشاد والعقاب بالمغفرة. فكم اجرأ وأصبرهؤلاء في تحمل الناروالجحيم. (١٧٤-١٧٥)

وذلك لأن الله أنزل كتابه هذا بالقول الفصل، لكن أولئك الذين اختلفوا في هذا الكتاب قد ذهبوا بعيدا في معارضتهم وضدهم له. (١٧٦)

(يعتقدون أن حق الولاء لله يتحقق من خلال أداء بعض الشعائر الدينية). عليهم أن يعلموا أن الولاء لله والبر(ليس فقط أنكم وجهتم وجوهكم إلى الشرق أو الغرب (في الصلاة) بل الولاء هو بر أولئك الذين يؤمنون بالله من كل قلوبهم ويؤمنون باليوم الآخرو بملائكة الله و بكتبه، و بأنبيائه. ورغم حب الثروة ينفقونها على الأقارب والأيتام، والمساكين والمسافرين والسائلين وفي فداء أعناق الناس وأن يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة. والولاء هو ولائهم الذين عندما يقطعون عهدا، يوفون بوعدهم وعهدهم، وخاصة أولئك الذين يصمدون في الضيق والمرض، وفي أوقات الحرب. إنهم هم الصادقون (في عهدهم مع الله وولائهم له) وهم الذين يخشون الله حقا. (١٧٧)

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم القصاص في محاكمات الذين قتلوا (منكم) بحيث إذا كان القاتل حرا، يُقتص من الحربنفسه في المقابل، وإذا كان عبدا يقتص من ذاك العبد نفسه في المقابل، وإذا كان امرأة، يقتص من نفس المرأة في المقابل. ثم من يقدم له بعض التنازلات من قِبل أخيه (تستطيعون قبولها، ولكنها إن قبلت) سيتم اتباعها وفقا للدستور والعرف، فتودي إليه الدية بإحسان، وهذا نوع من التنازل وتخفيف من ربكم وفضله عليكم. ثم من تعدى بعد ذلك، فله عقاب مؤلم (في القيامة). ولكم حياة في القصاص أيها العقلاء، لكي تحفظوا حدود الله وتتقونه. (١٧٨-١٧٩)

(وكذلك من أجل التجنب من النزاعات المالية) يجب عليكم عندما يحين وقت وفاة أحدكم ويترك بعض الثروات، أن يتقدم بوصية للوالدين والأقارب وفقًا للدستور والعرف هذا حق لمن يتقي الله. (١٨٠)

(يُتبع ...)

الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي*
عرض واقتباس: إدارة التحرير

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل

(الحلقة الرابعة)

فلماذا التفصيل في الجاثية (رب السموات والأرض) ولم ترد في الفاتحة؟ في الجاثية تردد ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما، فقد جاء في أول السورة (إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين). فلو نظرنا في جو سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. (ولله ملك السموات والأرض) يعني هو ربهما (ويوم تقوم الساعة يخسر المبطلون) إذن هو رب العالمين (وخلق الله السموات والأرض بالحق) فهو ربهما (لتجزى كل نفس..) فهو رب العالمين. (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) جمع الربوبية في السموات والأرض والعالمين في آية واحدة . أما في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصناف الخلق من العالمين (المؤمنين، الضالين..) لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة. (وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الجاثية الآية ٣٧) ولم يذكر الكبرياء في الفاتحة لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق

---

* أستاذ النحو في جامعة الشارقة.

(ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم. وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) (الجاثية الآيات ٧-٩) دل على مظهر من مظاهر الاستكبار لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض.

فسبحانه وتعالى يضع الكلام بميزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

الحمد لله: جاء سبحانه وتعالى باسمه العَلم (الله)، لم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى فلماذا جاء باسمه العَلم؟ لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غير العَلم لدل على انه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة فلو قال الحمد للقادر لفهمت على انه يستحق الحمد للقدرة فقط لكن عند ذكر الذات (الله) فإنها تعني انه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.

من ناحية أخرى "الحمد لله" مناسبة لما جاء بعدها (إياك نعبد)، لأن العبادة كثيرا ما تختلط بلفظ الله. فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود مأخوذة من إِله (بكسر اللام) ومعناها عبد ولفظ الله مناسب للعبادة وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (أكثر من ٥٠ مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القرآن) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة. "الحمدُ لله" أولى من قول الحمد للسميع أو العليم أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقول الحمد لله أولى من قول أحمد الله أو الحمدَ لله أو حمدًا لله أو إن الحمد لله أو الحمد للحي أو القادر أو السميع أو البصير. جلت حكمة الله سبحانه وتعالى وجل قوله العزيز. رب العالمين: الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيِّم ، فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لذا فهو أولى بالحمد من غيره وذكر (رب

العالمين) هي أنسب ما يمكن وضعه بعد (الحمد لله). رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى، العالمين: جمع عالم والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى؛ والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (الفرقان آية ١) ومن المؤكد انه ليس نذيرا للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولي العلم أو المكلفون. والعالمين جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم العالمين لا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم العالمين وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا عليهم. أما العوالم قد يطلق على أصناف من الموجودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفون (تقال للحيوانات والحشرات والجمادات)

اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة فالعالمين تشمل جيلا واحدا وقد تشمل كل المكلفين أو قسما من جيل (قالوا أولم ننهك عن العالمين) (الحجر آية ٧٠) في قصة سيدنا لوط جاءت هنا بمعنى قسم من الرجال.

واختيار "العالمين" أيضًا لأن السورة كلها في المكلفين وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق كله خاص بأولي العقل والعلم لذا كان من المناسب اختيار "العالمين" على غيرها من المفردات أو الكلمات. وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود ، والعالمين رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط فجاءت رب العالمين لتشمل كل العالمين لا بعضهم. أما اختيار كلمة رب فلأنها تناسب ما

بعدها (اهدنا الصراط المستقيم) لأن من معاني الرب المربي وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية لذا اقترنت الهداية كثيرًا بلفظ الرب كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى:

(قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (طه آية ٤٩-٥٠) (فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى) (طه آية ١٢٢) (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) (الأعلى آية ١-٣) (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) (الأنعام آية ١٦١) (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) (الكهف آية ٢٤) (قال كلا إن معي ربي سيهدين) (الشعراء آية ٦٢) (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) (الصافات آية ٩٩) (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) (القصص آية ٢٢) لذا ناسب لفظ "رب" مع "اهدنا الصراط المستقيم" وفيها طلب الهداية.

(يتبع...)

المعارف النبوية

الأحاديث المباركة

انتقاها: الأستاذ محمد حسن إلياس

ـــ ١ ـــ

عَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى لَهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ لَهُ". (رواه البخاري، رقم ٢٣٥٨، ٢٦٧٢، ٧٢١٢)

ـــ ٢ ـــ

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: المُنَّانُ بما أعطى، والمُنفِقُ سِلعتَه بالحلفِ الكاذبِ، والمُسبِلُ إزارَه خُيلاءَ". (أخرجه البخاري، رقم٢٩٤٦)

ـــ ٣ ـــ

عن عبد الله بن الديلمي قال: أتيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص وهو في حائطٍ له بالطائف يُقال له: وَهْط، وهو آخذٌ بيدِ فتىً من قريشٍ، يُظَنُّ

أنه يشربُ الخمر، فقال: سمعتُ محمدًا صلى الله عليه وسلم يقول: "من شرب شربةً من خمرٍ لم تُقبل له توبةٌ أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، ثم إن عاد كان مثل ذلك، فإن تاب تاب الله عليه، ثم إن عاد كان مثل ذلك، فإن تاب تاب الله عليه، ثم إن عاد كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال. (أخرجه النسائي في السنن الصغرىٰ، رقم: ٥٦٠٤)

مقامات

الأستاذ جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(١٦)

العلم الاضطراري

يوزع العلم إلى قسمين: بديهي ونظري، ويعرف البديهي بعلم يحصل بذاته بغير ما تفكر ولا تدبر، ونظري يعرف بعلم يكتسب من البدهي نفسه بطريق التفكر والنظر وعُلم من ذلك أن البديهي هو الأصل والأساس وكل شيئ ما عداه فرع له.

وقد ابتدأت الفلسفة من بحث و تمحيص عن الحقائق الخارجية، ثم بدأ الكلام عن ماهية المدارك وفرض البديهي أصلا وعلامته أنه لايختلف فيه أحد. إلا أن الإنسان يفكر ويختلف في كل شيئ. ومن ثم تولد الظنون والشبهات في هذه التعريفات والتقسيمات. فالآن يصر فريق إصرارا على أن المعلوم هو المحسوس فقط وهو الأصل يتفرع منه سائر الأفكار والمشاعر مما نعلمه بحواسنا فقط، فدماغ الإنسان هو اللوح الخالي (Tabula Rasa) لايوجد فيه شيئ قبل إدراكنا. والجماعة الثانية تقول إن العلم في الحقيقة هو

واردات النفس وخلجات الصدر ولا نوقن بوجود موجود إلا النفس المدركة. والفريق الثالث يدعي أنه ليس هناك شيئ يقيني ماعدا الأثر المحسوس الملموس. على حين أن الفريق الرابع يعلن عن عدم قطعية الإثنين: الحس والفكر، ولذا فلا يوجد عندهم شيئ يقال له اليقين والقطع في الدنيا.

وما هي النتيجة عن هذه المباحث؟ الفريق الأول قد أنكر العقل، والروح والإلـٰه والمعاد. الثاني لا يؤمن بهذا العالم المحسوس، والثالث ينكر كلاهما ولايثبت إلا العلم المحض والرابع ينفي العلم واليقين مطلقا فلا يؤمن بهما. وحينما قال ديكارت (Descartes) "انا أفكر فانا موجود فإنه حاول لإخراج العلم والتفلسف من هذا التشكيك[1] كما أن في عصر ما بعد الحداثة إن هذه السوفسطائية تريد إثبات مدلولها من طريق تحليل اللغة. فإنها تقول إن أية علامة أو لفظة (Signifier) لاتبين معنا معينا مستقلا لشيئ معين (Signified) لأنه لايوجد وجود محتم لشيئ معين. إنك تعني أي معنىً لِلفظ عبَر الفاظ أخرى متواجدة في جملة ما. فإذا أضفت لفظا إليها أو أسقت منها لفظة ستتغير دلالة الجملة بأسرها. ويعني ذلك أن هناك لا وجود لأية دلالة لا في الألفاظ ولا في الجمل ولا في أي شيئ. وكل لفظة في جملة ما لا تحتمل دلالة بكل معنى الكلمة ولذا تؤخر الدلالة إلى تواجد لفظ أو ألفاظ أخرى في الجملة. وكذلك فإن المعنى يتجه جهة ما بطريق ألفاظ مختلفة. وسياق العبارة يغير المعاني دائمًا فلا تكون حتما قطعيا أبدا. ولذا الأقدار والقيم المتصلة بالمعاني أيضا بلا معنىً ولا تكون حتما.

---

١ وعبره ديكارت بقوله المشهور Cogito erogo sum ولكن لم تثبت محاولة ديكارت هذه أيضا قضاء مبرما لأنه لم يبتن رأيه على أساس بدهيات الطبع الإنساني ولذا نقده زاك دريدا لأنه يقوم على مكانة الوجود المابعد الطبيعى. ويلح دريدا على أن 'وجودي أنا' أيضا لايحمل حقيقة فلا يكون له أيضا معنا قطعياً.

وبالأسف إن حاملي هذه النظرية لم ينتبهوا إلى أن استدلالهم هذا بنفسه ينم عن يقينهم بصحة نظر ودليل. فمن الحقيقة التي لاتجحد أن إبطال اليقين لا يحصل إلا بيقين آخر أكبر منه، وهو اضطرار الإنسان. فإنه ينتج كل إبطال إحقاقًا لشيئ آخر. ومن مأساة الإنسان أنه ربما يعرض عن ذلك مغلوبا بعواطفه. فالحرية الشخصية والفردية التي لها يموتون هؤلاء إنها هي الأخرىٰ قيمة من القيم والإصرار على نفي كل القيم والأقدار لاتهدف إلا وإثبات قيمة أخرى كأنها الحال ما يعبر عنه المعجز المطلق. فهذا هو حكاية سفر للذين خرجوا بحثًا عن الحقيقة من غير ترشيد للوحي الالهي ولم يكن إقبال على خطأ حين قال ومفهومه:

"إن العلم القائم على العقل والدليل هو ليس الإفرط الحيرة."

وعلى خلاف ذلك فإن القرآن يؤسس استدلاله على علم طبيعي مفطور عليه وملهم في النفس الإنساني. فإن هذا العلم هو في الواقع أساس لكل علم وعمل للإنسان وفكره واستدلاله. فلاشك أن الإنسان أول ما ينظر إلى شيئ هو بديهي فبطريق ابتناءه أصلاً وأساسًا ينطلق الإنسان في بحثه وتفتيشه. إنه لا ينتبه أنه في الحقيقة علمه الفطري الذي يوصله إلى البديهيات ويهديه إلى النظريات. وإن لم يكن هذا العلم المفطور لا يوجد هناك بداهة ولا نظر ولا استدلال. لأن الشيئ الوارد من الخارج هو الموضوعات. وحكمها لا يأتي من الخارج وإنما يحصل في النفس من قبل. وهو الذي يحكم ويبدل موضوعات إلى مواضيع حديثة ليحكم عليها حكما ثانيا. والذوق والإدراك كلاهما ظهور لذلك. والأول منها مصدر للعمل والثاني مصدر للعلم. وهو مرجع ومنبع لكل من الذات والصفات، والحامل والمحمول، والفعل والانفعال، والحسن والقبح والمدرك وغيره وهو مصدر الفرق والامتياز في الذات وعوارضه.

(للحديث صلة ...)

الدين والمعرفة

ميزان

جاويد أحمد غامدي

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(١٦)

الجزء الأول: الحكمة

الباب الأول

الإيمانيات

الإيمان مصطلح قديم ومادة "آمن" متواجدة في اللغة العبرانية أيضًا ويستعمل في معنى الصدق والاعتماد، واشتق منه كلمة "آمين" التي تصدق بها كلامًا. فجاء هذ التعبير لإعطاء هذا المفهوم في القرآن. ومن هنا إذا تسلم بشيء بإيقان قلبي كامل يقال له الإيمان. وأصله الإيمان بالله فإذا أسلم العبد لله بأن يسلم له عقله وقلبه حتى آخر درجة من التسليم والرضا فهو مؤمن بالمصطلح القرآني. فقد قال الإمام حميد الدين الفراهي في تفسيره:

"إن اليقين المقرون بكافة لوازم وشرائط الخشية والتوكل والاعتقاد هو الإيمان. والذي يؤمن بالله وبآياته وأحكامه ويسلم كله له ويرتضى

بما يقضي له فهو مؤمن." (نظام القرآن:٣٩٣)

فهذه هذه حقيقة الإيمان التي على بنائها يقتضى القرآن أن يصدق عليه قول الإنسان وفعله مع تصديق القلب لها. ومن هنا يقرر كل حسنة خاصةً للإيمان وصفة لازمةً للمؤمنين تشير إلى ذلك الروايات التي تقول مثلاً: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. (رواه البخاري رقم: ١ ومسلم رقم ١٦٢) وأن الإيمان بضع وسبعون فرعًا ومنها الحياء: (رواه البخاري رقم ٩ ومسلم رقم ١٥٣) وأن من آمن بالله واليوم الآخر فليصل جاره وليكرم ضيفه وليقل خيرًا أو ليصمت. رواه البخاري رقم ٦٠١٩ ومسلم رقم ١٧٦) وواضح من ذلك أن القرآن يذكر العمل الصالح بعد الإيمان كتفسير له كما هو نوعية عطف الخاص على العام عمومًا. ويقول الإمام الفراهي في ذلك:

"إن محل الإيمان هو العقل والقلب، وفي الأمور العقلية والقلبية ربما وليس يخدع الإنسان غيره فقط بل ينخدع بنفسه أيضًا. فتعتقد نفسه مؤمنًا وهو غير مؤمن، ولذا جُعل للإيمان شاهدان القول والعمل. وبما أن القول قد يكون كذبًا فلم يعتبر المقر باللسان فقط مؤمنًا بل لزم أن يصدق عمل الإنسان قولَه بالإيمان." (نظام القرآن: ٣٩٦)

وقال الله تعالى:

اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيٰتُه زَادَتْهُمْ اِيْمَانًا وَّعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ، الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ. اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا، لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ. (الأنفال: ٢-٤)

وقال أيضًا:

اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَجٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ. اُولٰٓئِكَ هُمُ الصّٰدِقُوْنَ.(الحجرات: ١٥)

ولا شك أن كل شخص يقر بالإسلام بلسانه يُعتبر مؤمنًا في نظر القانون. ولا يزداد إيمانه هذا ولا ينتقص. وأما ما يتعلق بالإيمان الحقيقي فليس شيئًا جامدًا. فالآيات التي نقلناها في المذكور أعلاه من سورة الأنفال تفيد أن الإيمان يزداد من ذكر الله وتلاوة آياته ومن ظهورها في الآفاق والأنفس. قد شبهه القرآن بشجرة أصولها ثابتة في أعماق الأرض وفروعها منتشرة في آفاق السماء فقال:

اَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا، كَلِمَة طَيِّبَة كَشَجَرَةٍ طَيِّبَة، اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّفَرْعُها فِي السَّمَآءِ، تُؤْتِيْٓ اُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ م بِاِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ.(إبراهيم: ٢٤-٢٥)

وقد فسر الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي هذه الآية الكريمة بما يأتي:

"الظاهر أن الكلمة الواردة في الآيات يراد بها كلمة الإيمان. وقد شبهها الله تعالى بمثل شجرة مثمرة أصلها منعمقة في أعماق الأرض، وفروعها ممتدة في الفضاء امتدادًا وهي لا تزال تؤتي ثمارها بإذن الله في كل فصل، وقصد من تعمقها في أعماق الأرض رسوخه واستحكامه في الفطرة الإنسانية فأنه ليست كشجرة نبتت على القمامة ليست لها أصل ثابت تجتثها موجة خفيفة من الأحداث كما جاء في كلمة الكفر" اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.(إبراهيم:٢٦) بل إنها تحور بأصول عميقة مثل شجرة مظلة وقائمة، إنها لا تزعزعها الزلازل. ثم قال مشيرا إلى استثمارها وإفادتها أنها ليست شجرة نكدة قاحلةً لا تظل ولا تثمر، بل يقف في ظلال فروعها الوارفة القوافل وتكتسب من أثمارها الغذاء والراحة في كل موسم وكل فصل. والظاهر أن ذلك يشير إلى الفيوض والبركات التي تترتب على حياة صاحب إيمان من إيمانه هو، وعلى نفوس الأقربين قرابة بواسطة منه. فهذه الفيوض والبركات تكون

لازمة من النوعين علميًا وعمليًا وتشهد لإيمانه ويحصل له منها رفعة من الله والقبول. (تزكية النفس:٣٢٥)

وهذا ثابت في نقص الإيمان أيضًا. فإن ذهب الإنسان خلاف المقضيات الإيمانية ولم يزد إيمانه بطريق العلم النافع والعمل الصالح ففي هذه الصورة فإن إيمانه لم ينتقص فقط بل ينتهي برأسه في بعض الحالات كما يفيد بذلك الآية: هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان (آل عمران:١٦٧) وما شابهها من الآيات وقد صرح القرآن أنه من يتلبس بالذنوب والآثام تحيط بحياته كلها، ومن يستعصي إلى حد أن يتعد حدوده على علم منه أو يقتل مسلمًا متعمدًا فإنه لا يُعتبر إيمانه ويدخل في جهنم خالدًا فيها (البقرة: ٧١ النساء: ١٤،٩٣) إلى أن يشاء الله ويعفو عنه وفقًا لحكمته تعالى. ولذا قال في موضع أنه لا يقبل عند الله دعوى للإيمان بعد الانحراف من إطاعة الرسول كما قال تعالى:

فَلاَ وَرَبِّکَ، لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتّٰى يُحَكِّمُوْکَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهمْ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوْا فِيْٓ اَنْفُسِهمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا. (النساء: ٦٥)

وقد وردت بعض الأحاديث التي توضح هذه الحقيقة إيضاحًا تامًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن"

(رواه البخاري رقم ٥٥٧٨ ومسلم رقم ٢٠٢)

وقال صلى الله عليه وسلم:

"لا يكون أحدكم مؤمنًا حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" (رواه البخاري رقم ١٥ ومسلم رقم ١٦٨-١٦٩)

وقال:

"أقسم بالله بيده نفسي لا يكون العبد مؤمنًا حتى أحب لأخيه ما

يحب لنفسه" (رواه البخاري رقم ١٣ ومسلم رقم ١٧٠)

وقال أيضًا:

"إذا رأى أحدكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (رواه مسلم رقم ١٧٧-١٧٩)

فتوضح من ذلك أن الإيمان والعمل متلازمان، فكما أن العمل لازم للإيمان فكذا الإيمان أيضًا ضروري للعمل. فإن القرآن اشترط ذلك منه أو افترى عليه أو أشرك له شريكًا فذلك استكبار والقرآن واضح كل الوضوح أن المستكبرين لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، كما قال تعالى:

"اِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْها لاَ تُفَتَّحُ لَهمْ اَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّة حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَكَذٰلِکَ نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ. لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَّمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ، وَكَذٰلِکَ نَجْزِي الظّٰلِمِيْنَ.(الأعراف: ٤٠-٤١)

(يُتبع ...)

المختارات

الكاتب: الإمام المحدّث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
أخذ وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

(الحلقة الثالثة)

(مقتطف من شرحه الحافل تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

الطريق الثالث: قال البخاري حدثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا يحي بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأعمال بالنية ولأمرئ مانوى الخ الباقي مثل القعنبي عن مالك ص ٣٤٣ كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه)

وأخرجه أبوداؤد من هذا الوجه بعينه وفيه:إنما الأعمال بالنية وإنما لإمرئ مانوي. كتاب الطلاق باب في مايعنى به الطلاق)

التراجم:

محمد بن كثير العبدي أبوعبد الله المصري روى عن أخيه سليمان وكان أكبرمنه بخمسين سنة وعن الثوري وشعبة وإبراهيم بن نافع المكي وهمام وإسرائيل وغيرهم. وعنه البخاري وأبوداؤد والدارمي والذهلي وغيرهم. قال أبوحاتم صدوق وقال أحمد ثقة ثقة مات على سنة وقال ابن قانع ضعيف وقال ابن معين لم يكن بثقة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان نقيا فاضلاً. مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومأتين (٢٢٣). وهو ابن تسعين سنة.(تهذيب التهذيب)

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري: أبوعبد الله الكوفي أحد أيمة الأعلام في الفقه والحديث والزهد والورع والاتقان والحفظ والمعرفة والضبظ. ويرسل كثيرًا قال يحي بن معين وأبوداؤد مرسلاته شبه الريح أي لايعتد بها. لم يرابن اشوع ولم يسمع من محارب شيئًا. ولم يلق أبا بكر بن حفص ولاحيان بن أياس ولم يسمع من سعيد بن أبي بردة ويزيد الرقاشي ولم يسمع من سلمة بن كهيل حديث السائبة :يضع ماله حيث يشاء ،ولامن خالد بن سلمة الفافاء إلاحديثًا واحدًا ولا من ابن عون إلا حديثًا واحدا-

ولد سنة سبع وتسعين (٩٧) وخرج من الكوفة سنة خمسين ومأة (١٥٠) ولم يرجع إليها وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومأة(١٦١). (ملتقط من تهذيب التهذيب).

الطريق الرابع: قال البخاري حدثناقتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب سمعت يحى بن سعيد يقول أخبرني محمد بن إبراهيم أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول سمعت عمربن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما الأعمال بالنية وإنما لإمرئي مانوى فمن كانت

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه. ص ٩٨٩ كتاب الأيمان والنذور باب النية في الإيمان) أخرجه مسلم والترمذي من حديث محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي- به، مثله (صحيح مسلم ٢ ص ١٤٠ كتاب الإمارة) وسنن الترمذي ج ١ ص ٢١١ أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء من يقاتل رياءً وللدنيا).

التراجم: قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله أبو رجاء البغلاني الثقفي. البغلاني نسبة إلى بغلان قرية من قرى بلخ والثقفي نسبة الولاء كان جدُّ جده عبد الله من موالي بني ثقيف. روى عن مالك والليث وابن لهيعة وابن عيينة وداؤد بن عبد الرحمن العطار وحماد بن زيد وعبد الوارث بن سعيد وغيرهم وعنه أصحاب الصحاح إلا ابن ماجة فإنه روى عنه بالواسطة كان ثقة ثبتًا صاحب سنة وجماعة. لم يعيبوا عليه إلا الحديث الذي رواه عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل في الجمع بين الصلاتين فأخطأ في ذكريزيد وإنما هو عن أبي الزبير عن أبي الطفيل كذا رواه مالك وسفيان. ومن فضائل قتيبة أنه لايعرف له تدليس. ولد سنة خمسين ومأة (١٥٠). ومات يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان سنة أربعين ومأتين(١٤٠). وقال مسلمة بن قاسم سنة أحدى وأربعين. (تهذيب التهذيب)-

عبد الوهاب: عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفي أبومحمد البصري روى عن حميد الطويل وأيوب السختياني ويحي بن سعيد الأنصاري وغيرهم وعنه الشافعي وأحمد ومسدد وغيرهم. وهو أوثق الناس في الأحاديث المروية عن يحي بن سعيد الأنصاري. قال علي بن المديني ليس في الدنيا كتاب عن يحيي

بن سعيد الأنصاري أصح من كتا ب عبد الوهاب وكل كتا ب عن يحيي فهو عليه كل. ولد سنة ثمانية ومأة(١٠٨). كما قال أحمد أو سنة عشر ومأة (١١٠) كما قال الفلاس. وتوفي سنة أربع وتسعين ومأة (١٩٤) على قول ابن سعد والفلاس أو سنة أربع وثمانين ومأة (١٨٤) على قول ابن حبان- واختلط قبل موته بثلاث سنين أو أربع سنين اختلاطا شديدًا حتى كان لايعقل. (تهذيب التهذيب).

الطريق الخامس: قال البخاري حدثنا مسدد ثنا حماد وهو ابن زيد عن يحي عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي قال سمعت عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الأعمال بالنية فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجرإليه ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. ص ٥٥١ كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة.

التراجم:

مسدد بن مسرهد أبوالحسن البصري ثقة ثبت حافظ روى عن حماد بن زيد وهشيم ويزيد بن زريع وغيرهم، وعنه البخاري وأبوداؤد ومعاذ بن المثنى وغيرهم. وروى عنه النسائي والترمذي وأبو داؤد أيضا بواسطة شيوخهم. قيل إنه أول من صنف المسند بالبصرة. توفي سنة ثمان وعشرين ومأتين (١٢٨) ذكر نسبه في تهذيب التهذيب مسدد بن مسرهد بن مسربل البصري، وسمى البخاري جد جده مرعبل. قال الحافظ ابن حجر وزعم منصور الخالدي إنه مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مرغبل بن مرعبل بن أرندل بن سرندل بن عرندل بن ملند.ولم يتابع عليه قلت والمشهور أن جده مجرهد.

حماد بن زيد: بن درهم الأزدي الجهضمي أبو اسماعيل البصري الأزرق مولى آل جرير بن حازم روى عن ثابت البناني وأيوب السختياني وانس بن سيرين وغيرهم. ثقة ثبت متقن إمام.وهو أثبت الناس في أيوب قال الإمام أحمد حماد بن زيد أحب إلينا من عبد الوارث حماد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام وهو أحب إليَ من حماد بن سلمة وقد كان عمي رحمه الله ولم يسمع من أبي المهزم شيئاً.ولد سنة ثمان وتسعين (٩٨) ومات في رمضان سنة تسع وسبعين ومأة (١٧٩). تهذيب التهذيب).

وقال البخاري: حدثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن يحي عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي قال سمعت عمربن الخطاب يخطب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ياأيها الناس إنما الأعمال بالنية وإنما لأمرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.كتاب الحيل ص ١٠٢٨ باب في ترك الحيل وأن لكل إمرئي مانوى).

التراجم:

أبو النعمان هو محمدبن الفضل السدوسي البصري المعروف بعارم. روى عن حمادبن زيد وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وأبن المبارك وغيرهم. وروى عنه البخاري بدون الواسطة وبواسطة عبد الله بن محمد المسندي. وسائرأصحاب الصحاح رووا عنه بواسطة شيوخهم.وقد روى عنه أحمد بن حنبل وأبو موسى العنزي وأبوحاتم وغيرهم.ثقة ثبت متقن. مات في شهر صفر سنة أربع وعشرين ومأتين(٢٢٤). واختلط في آخر عمره وزال عقله قبل وفاته بسنوات.

قال ابوحاتم اختلط عارم في آخرعمره وزال عقله فمن سمع منه قبل الاختلاط فسماعه صحيح وكتبت عنه قبل الاختلاط سنة أربع عشرة (٢١٤) فمن سمعه قبل عشرين سنة فسماعه جيد. وأبوزرعة لقيه سنة اثنتين وعشرين (٢٢٢) وقال أبوداؤد بلغنا أنه أنكر ستة ثلاث عشرة ثم راجع عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة ست عشرة. وقال العقيلي سماع علي البغوي من عارم سنة سبع عشرة يعني بعد الاختلاط. وقال الخطيب سماع الكديم منه قبل اختلاطه، وقال ابن حبان اختلط عارم في آخر عمره وتغير حتى كان لايدري مايحدث به فوقع في حديثه المناكير الكثيرة فيجب التنكب عن حديثه في مارواه المتأخرون. فإن لم يعلم هذا من هذا ترك الكل ولايحتج بشيئ منها. قال ابن حجر قرأت بخط الذهبي لم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرًا- والقول فيه ما قال الدار قطني إنه تغير بآخره وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة.(تهذيب التهذيب). فرواه عن حماد بن زيد عندالبخاري مسدد وأبو النعمان وسقط من رواية مسدد قوله صلى الله عليه وسلم "وإنما لإمرئ مانوى". ورواه عن حماد بن زيد بهذا الإسناد يحيي بن حبيب بن عربي عند النسائي وأبو الربيع العتكي عند مسلم. وفي حديثهما أيضا: وإنما لإمرئ مانوى" (سنن النسائي كتاب الطهارة باب النية في الوضوء صحيح مسلم ج٢ ص ١٤٠ كتاب الإمارة) وذكر الإمام البخاري رحمه الله هذا الحديث في سبعة مواضع من الجامع.

تفهيم الآثار

بقلم: أ. د / محمد عمار خان ناصر
ترجمة إلى العربية: عثمان فاروق

الحوارات بين زعماء فارس والصحابة الكرام رضي الله عنهم

(نقلاً عن كتاب المؤلّف "تفهيم الآثار")

(الحلقة الخامسة)

(٧)

عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم، قالوا: لما فصل رُستم من ساباط لقيه جابان على القنطرة، فشكا إليه وقال: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رُستم: أما أنا فأقاد بخشاش وزمام، ولا أجد بدا من الانقياد. وأمر الجالنوس حتى قدم الحيرة، فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف، وخرج رُستم حتى ينزل بكوثى، وكتب إلى الجالنوس والآذاذمرد: أصيبا لي رجلا من العرب من جند سعد. فركبا بأنفسهما طليعة، فأصابا رجلا فبعثا به إليه وهو بكوثى، فاستخبره ثم قتله.[1]

[1] تاريخ الطبري، ٥٠٧/٣

الشرح اللغوي

"خِشَاشٌ": هو الزمام أو الحلقة الذي يُوضع في أنف البعير.

التخريج واختلاف الطرق

وقد نقل هذا الحدث أيضًا الكلاعي من رواية سيف بن عمر في كتابه.[٢]

(٨)

عن ابن الرفيل عن أبيه، قال: لما فصل رُستم وأمر الجالنوس بالتقدم إلى الحيرة أمره أن يصيب له رجلا من العرب، فخرج هو والآذاذمرد سرية في مائة حتى انتهيا إلى القادسية، فأصابا رجلا دون قنطرة القادسية فاختطفاه، فنفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم. فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رُستم وهو بكوثى.

فقال له رُستم: ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال: جئنا نطلب موعود الله، قال: وما هو؟ قال: أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا. قال رُستم: فإن قتلتم قبل ذلك؟ قال: في موعود الله أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة، وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك، فنحن على يقين. فقال رُستم: قد وضعنا إذًا في أيديكم. قال: ويحك يا رُستم! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك، فإنك لست تحاول الإنس، إنما تحاول القضاء والقدر! فاستشاط غضبا، فأمر به فضربت عنقه.

وخرج رُستم من كوثى حتى ينزل ببرس، فغصب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضج العلوج إلى رُستم وشكوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم، فقام فيهم فقال: يا معشر أهل فارس، والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله للعرب في

---

[٢] الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ٢/٤٤٠-٤٤١

هؤلاء، وهم لهم ولنا حرب، أحسن سيرة منكم، إن الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والإحسان، فأما إذ تحولتم عن ذلك إلى هذه الأعمال فلا أرى الله إلا مغيرا ما بكم، وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم. وبعث الرجال فلقطوا له بعض من يشكى، فأتي بنفر فضرب أعناقهم.[٣]

الشرح اللغوي

"العُلُوج": جمع كلمة 'عِلْجٌ'، ويُطلق على الرجل القويّ الضخم البنية، ويُستعمل غالبًا في وصف كفّار العجم.

الشرح والتوضيح

١- إنّ إقدام رُستم على قتل العربيّ الأسير بدافع الغضب يكشف عن حالة من الصراع النفسيّ وشخصيته المزدوجة؛ فهو من جهة كان يدرك، استنادًا إلى علم النجوم، أن الغلبة في هذه الحرب ستكون للعرب، كما أنّ المقارنة بين أخلاق العرب وسوء سلوك الفرس كانت تُعزّز هذا اليقين لديه. ولكنّه، عندما سمع ذلك من فم العربيّ نفسه، لم يستطع ضبط نفسه، فثار غضبًا لجرح تفاخره القومي، وأمر بقتله.

٢- وقد أرجع رُستم تدهور الحالة الأخلاقيّة لدى الفُرس إلى كونه سببًا متوقّعًا لهزيمتهم، وهذا المعنى ورد كذلك عند غيره من ذوي المسؤولية في فارس، كما تُظهره بعض الآثار. ويقوم هذا التصوّر على خلفيّة دينيّة وأخلاقيّة متعلّقة بنظرتهم إلى الحكم والسلطة؛ إذ يرد في أدبهم الدينيّ ومراسيم ملوكهم أنّ شرعيّة الحكم مشروطة بإقامة العدل والإنصاف، وأنها تفقد

---

٣ تاريخ الطبري، ٣/٥٠٨-٥٠٧

مبرّرها بزوالهما. وقد تُذكَر أسماءُ بعض ملوك الساسانيّين، مثل أنوشيروان وأردشير، بوصفها نماذج تاريخيّة في هذا السياق.

التخريج واختلاف الطرق

وقد أورد هذا الحدث أيضًا الكلاعي في كتابه.[٤]

(يُتبع...)

---

[٤] الاكتفاء بما تضمَّنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ٢/٤٤٠-٤٤١

الإعداد: الدكتور شهزاد سليم
ترجمة من الإنجليزية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تاريخ جمع وتدوين القرآن الكريم: دراسة نقدية

(الحلقة العاشرة)

وبعبارة أخرى، يرى ابن كثير رحمه الله أنَّه في ظلِّ وجود هذه الروايات التي تُسمّي بعض حفَّاظ القرآن من المهاجرين، لا يمكن قبول الروايات محلّ البحث إلا إذا حُمِلَت على معنى أنَّ هؤلاء الأنصار وحدهم ـ بخلاف المهاجرين ـ كانوا قد حفظوا القرآن..

ابن حجر[١٣٨]

وقد أشار ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) أيضًا إلى أسماء عددٍ آخر من الصحابة الذين حفظوا القرآن. فقد ذكر نفس المواد ـ أو موادَّ مشابهة لها في بعض المواضع ـ التي ذكرها ابن كثير لإثبات أنَّ أبا بكر، وعليًّا، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمرو ـ وجميعهم من المهاجرين ـ كانوا قد حفظوا القرآن. كما أنه، عند إشارته إلى كتاب القراءات[١٣٩] لأبي عبيد وكتاب الشريعة لابن أبي داود[١٤٠]، عدَّد أسماءً أخرى من الصحابة الذين حفظوا القرآن.

كما حاول ابن حجر[١٤١] حلَّ هذا التعارض من خلال إيراد روايةٍ نقلها الطبري.[١٤٢] ووفقًا لهذه الرواية، فإنَّ القول بأنَّ حفظة القرآن كانوا أربعة إنما صدر عن رجل ـ أو رجال ـ من قبيلة الخزرج، وذلك في سياق المفاخرة بتفوُّق قبيلتهم على قبيلة الأوس من الأنصار. وعلى هذا، فإنَّ هذا القول ـ في نظره ـ لا يتعلَّق بالمهاجرين ولا بغيرهم ممن جاء بعدهم. فقد جاء في ذلك:

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في اول الحديث قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة من اهتز له العرش سعد بن معاذ[١٤٣] ومن عدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت،[١٤٤] ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر[١٤٥] ومن حمته الدبر عاصم بن أبي ثابت[١٤٦]. فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم.

يقول ابن حجر العسقلاني إنّه لم يُذكر في هذه الرواية مَن هو الرجل من الخزرج الذي تلفّظ بهذه الكلمات. غير أنّ أنس بن مالك هو راوي هذه الحادثة، ولم يُبدِ اعتراضًا على الوقائع المذكورة فيها، كما أنّ من المعلوم أنّه كان هو أيضًا من قبيلة الخزرج؛ وبناءً على ذلك يمكن الاطمئنان إلى أنّ الكلمات التي صدرت من الشخص أو الأشخاص من الخزرج كانت في الحقيقة كلمات أنس رضي الله عنه.

ويقول ابن حجر أيضًا إنّ احتمالاً آخر قائم، وهو أنّ أنسًا رضي الله عنه لم يكن يقصد جميع الناس، وإنّما كان يقصد فئةً معيّنة منهم، ومن هذه الفئة عدّ الأربعة الذين جمعوا القرآن.[١٤٧] ثم يذكر أنّ هذا التأويل بعيد ظاهر التكلّف.

كما حاول ابن حجر[١٤٨] أن يوضّح ما قد يرد إلى الذهن من تعارض بين رواية أنس رضي الله عنه ورواية عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن

النصوص الممثِّلة لذلك ما يلي:

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا وائل يحدث عن مسروق عن عبد الله بن عمرو عن النبي قال استقرؤا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب.[١٤٩]

يقول إن هذه الرواية تضيف اسمين إلى الأسماء الأربعة التي ذكرها أنس رضي الله عنه، وهما :عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة .وفي سبيل إزالة التعارض الظاهري بين الروايتين، يقول إن هناك احتمالين:

١. إن رواية عبد الله بن عمرو لا تعني بالضرورة أن الأربعة الذين أُمر بالأخذ عنهم كانوا جميعًا قد حفظوا القرآن كاملاً.

٢. وإن رواية أنس بن مالك لا تنفي أن يكون هناك غير الأربعة المذكورين من الصحابة من كان قد حفظ القرآن.

في ضوء المادة التي عُرضت سابقًا[١٥٠]، والتي تُبيّن أن هناك أشخاصًا آخرين كانوا قد حفظوا هذه الروايات، لا يمكن قبول تلك الأخبار على ظاهرها. ولعلّ أكثر هذه الروايات معقوليةً هي الرواية التي ذكرها ابن حجر العسقلاني، والتي أُشير إليها سابقًا. وفي الحقيقة، كان ابن عبد البر قد طرح هذا التفسير نفسه قبل ذلك بنحو أربعة قرون.[١٥١] ففي ترجمته لـ حنظلة بن الربيع، يورد ابن عبد البر الرواية الآتية ثم يعلّق عليها بقوله:

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني قال حدثنا أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم البغدادي الدورقي قال حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال افتخرت الأوس فقالوا منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ،ومنا من

أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومنا من اهتز بموته عرش الرحمن سعد بن معاذ .فقال الخزرجيون منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله ولم يقرأه غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب.(١٥٢)

وقد علق على ذلك بقوله:

يعني لم يقرأه كله أحد منكم يا معشر الأوس ولكن قد قرأه جماعة من غير الأنصار منهم عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم.(١٥٣)

يتّضح أن الخلفية الكاملة للروايات محلّ البحث تنكشف إذا أُخذ تفسير ابن عبد البر بعين الاعتبار. فقد كانت قبيلتا الأوس والخزرج منذ الجاهلية كثيرًا ما تتفاخر إحداهما على الأخرى وتُظهر مزاياها، ويبدو أن هذه السِّمة استمرت حتى بعد إسلامهم. وهذه الرواية ليست إلا انعكاسًا لذلك الجدل المتبادل حول التفاضل.

ومن الواضح أن ما قيل بشأن عدد حفّاظ القرآن إنما صدر عن بعض أفراد قبيلة الخزرج. وحتى لو لم يُقبل تعليق ابن عبد البر بأن المقصود ليس التفاضل المطلق بل النسبي، وسُلِّم بأن الرواية تتحدث عن تفاضل مطلق بمعنى أن أحدًا من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة من الأنصار لم يكن قد حفظ القرآن، فلا بد من ملاحظة أن هذا لم يكن إلا رأيًا لبعض الخزرجيين المنخرطين في ذلك الجدل، ولم يكن بالضرورة رأي أنس رضي الله عنه.(١٥٤)

فأنس رضي الله عنه إنما كان ينقل قولهم فحسب، ورأي أولئك الخزرجيين كان بطبيعة الحال محدودًا بما بلغهم من علم ومعرفة.(١٥٥)

ويبدو أن بعض الروايات جُرِّدت لاحقًا من هذه الخلفية، فاكتفت بذكر

جمع القرآن على يد أربعة من الأنصار، مع نسبة هذا القول خطأً إلى أنس رضي الله عنه. ويظهر ما يقوّي هذا الاحتمال عند التأمل في أسانيد الروايتين الآتيتين:

حدثنا محمد بن عبد الله الأرزي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء أخبرنا سعيد عن قتادة عن أنس قال افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ،ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت . وقالت الخزرجيون منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل.[١٥٦]

الهوامش:

١٣٨- ابن حجر، *فتح الباري*، ج٩، ص٤٢-٤٣.

١٣٩- بحسب علمي، لم يُنشر هذا الكتاب إلى الآن، أو لعلّه لم يصل إلينا.

١٤٠- ابن حجر، *فتح الباري*، ج٩، ص٤٢.

١٤١- ابن حجر، *فتح الباري*، ج٩، ص٤١-٤٢. وكما تبيّن سابقًا، فقد أشار الرحماني إلى هذه الرواية منسوبةً إلى ابن عبد البر. وبينما نقل الرحماني هذه الرواية اعتمادًا على مجموعة مكتوبة، فإن ابن حجر هنا نقلها اعتمادًا على الحفظ. وسيأتي قريبًا تحليل هذين الرأيين.

١٤٢- بحسب علمي، لا تشتمل النسخ المتداولة من تفسير الطبري أو تاريخه على هذه الرواية، غير أنها موجودة في كتب كثيرة أخرى، منها على سبيل المثال:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ط١، ج٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص٩٠، رقم (٦٩٧٧) .
- الطبراني، المعجم الكبير، ج٤، ص١٠، رقم (٣٤٨٨) .

- أبو يعلى، المسند، ج٥، ص٣٢٩، رقم (٢٩٥٣) .
- الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج١٠، ص٣٧٤؛ ج١٤، ص٢٢٢؛ ج١٤، ص٢٢٣.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، الأحاديث المختارة، ط١، ج٧ (مكة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ)، ص١٣٦-١٣٩ .
- أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان، ط١، ج٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص٩٣ .
- ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٨٢ .
- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، ص٣٦٨-٣٦٩؛ ج٧، ص٣٢٣-٣٢٤ .
- علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال، ط١، ج١٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ص١١١، رقم (٣٦٧٥٦) .

١٤٣- انظر مثلاً: أحمد بن حنبل، المسند، ج٦، ص٤٥٦، رقم (٢٧٦٢٢).

١٤٤- انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٨، رقم (٢١٦٨٣).

١٤٥- انظر مثلاً: الحاكم، المستدرك، ج٣، ص٢٢٥، رقم (٤٩١٧).

١٤٦- انظر مثلاً: أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، ج٣ (بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ)، ص٣٩.

١٤٧- وذكر الزرقاني تفسيرًا قريبًا من ذلك. انظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ج١، ص١٧٥.

١٤٨- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص١٠١.

١٤٩- أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٩، رقم (٦٧٦٧).

١٥٠- قد يُقال: إن بعض الأسماء لم يُقدَّم بشأنها دليل، وبعض ما قُدِّم بشأن أسماء أخرى ليس حاسمًا؛ غير أن بعض المواد المطروحة تبدو حاسمة فعلاً. فالمعطيات ترجّح بقوة أن أبا بكر (رضي الله عنه)، وعثمان (رضي الله عنه)، وابن مسعود (رضي الله عنه)، وعبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وسالمًا رضي

الله عنه ، قد حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ. وإذا اعتُمدت بعض الروايات الأخرى التي ذكرها الباقلاني، أمكن إضافة أسماء أخرى إلى القائمة.

١٥١- هذه الروايات لا تذكر أبا الدرداء رضي الله عنه، ومن ثم إذا اعتُمدت، فقد يمكن بها حلّ التعارض الواقع في الأسماء بين الروايتين.

١٥٢- ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ج١، ص٣٨٢.

١٥٣- وفي ضوء هذا التعليق، يمكن الجزم بأن ابن عبد البر إنما يفهم من لفظ جمعه حفظَ القرآن من قِبل الأربعة، لا جمعَه كتابةً، كما نُسب إليه خطأً من الرحماني سابقًا.

١٥٤- ومن ثم فإن رأي ابن حجر المتقدم محلّ نظر؛ إذ ذهب إلى أن أنسًا (رضي الله عنه) لما روى هذه الرواية دون اعتراض على عدم ذكر اسم الخزرجي، وكان أنس نفسه خزرجيًا، فكأنّه بذلك صدّق ما قاله الخزرجي.

١٥٥- ومما يجدر ذكره أن في رواية ابن الجوزي يظهر أن الخزرج كانوا يزعمون أن أربعةً منهم قد حفظوا القرآن، وهو أمر لم يبلغه أحد من الأوس. ونص الرواية : لم يجمعه رجل منكم، أي: لم يحفظه أحد منكم. انظر: ابن الجوزي، *المنتظم*، ج٣، ص٣٩.

١٥٦- أبو يعلى، المسند، ج٥، ص٣٢٩، رقم (٢٩٥٣).

(يُتبع...)

بقلم: الأستاذ سيد منظور الحسن
نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الإستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(١٦)

ومن هذا التفصيل في الحديث يتبين لنا أن نزول النبي عيسى عليه السلام سيكون في وقت عودة الجيش الإسلامي بعد فتح القسطنطينية. ويجب أن يُلاحَظ مكررًا معادًا أن هذا الحديث الذي أخرجه مسلم ينص بوضوح على أن النبي عيسى (عليه السلام) سوف ينزل في نفس اللحظة التي سيعود فيها الجيش الإسلامي إلى المدينة المنورة بعد فتح القسطنطينية عند سماعه خبر ظهور المسيح الدجال.

والحقيقة الثابتة اليوم هي أن القسطنطينية تم فتحها في ٢٩ مايو ١٤٥٣ في ٢٠ جمادي الأول ٨٥٧ هـ. منذ ذلك الحين ، لا يزال المسلمون محتلين لها ، وهي أكبر مدينة في دولة تركيا الإسلامية تعرف اليوم باسم اسطنبول[١]. وهذا يعني أن الوقت الذي حدده الحديث الذي أخرجه مسلم

[١] اسم جديد للقسطنطينية التي سموها المسلمون به بعد الفتح.

لمجيء يسوع المسيح متزامن لفتح القسطنطينية. وقد مر هذا الوقت في يونيو / يوليو ١٤٥٣. حين تم غزو القسطنطينية، لكن لم يظهر الدجال ولم ينزل اليسوع.

الآن إذا كانت الحقيقة ، فيجب اعتبار أحد الأمرين في السرد صحيحا والآخر يجب أن يعزى إلى خطأ الراوي أو إضافته.

فإما أن يُسلم بأن ذكرنزول المسيح صحيح في الحديث، لكن ذكر فتح القسطنطينية وجيشها المنتصر هو أمر إضافي، لا علاقة له بنزول المسيح. أو يجب الاعتقاد بأنه يصح أن يذكر الحديث فتح القسطنطينية وجيشها المنتصر، لكن نزول المسيح إضافي فيه.

لا يمكن التسلم بحدوث هذين الحدثين في نفس الوقت، لأن أحد هذين من الأحداث المترابطة حدث قبل ٥٧٠ عاما. لكن المشكلة هي أنه إذا قُبلت إحدى هاتين الحادثتين ولم يقبل الآخر، فإن البيان كله يأتي في حيز الاشتباه. والسبب في ذلك أنه إذا كانت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قد رويت وجاءت بشكل صحيح، فلا يمكن أن يكون هناك تغيير فيها ولو في أدنى درجاتها . إنه قرار مصيري كتبه كاتب القضاء والقدر فيجب أن يتم بنفس الطريقة التي نطقت بها نبينا صلى الله عليه وسلم وهو ما ينطق عن الهوى.

من أجل حل هذه المشكلة، قدم علماؤنا تفسيرامؤّلاً لهذه المشكلة بدلاً من تفضيل أحد الاحتمالين المذكورين أعلاه أو التوقف عن الروايات. ووفقًا لهذا التفسير، فإن فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ ليس هو الفتح المذكور في الحديث. فوفقا لهم، فإن غزو القسطنطينية سيحدث مرة أخرى. في ذلك الوقت ينزل اليسوع وتحدث الأشياء المذكورة في الحديث أعلاه.

وترد على هذا التأويل إشكالات عقلية قوية تالية ومنها:

الإشكال الأول هو أن الخلفية التاريخية غير العادية للقسطنطينية والطريقة التي ناضل بها المسلمون لقرون مستمرة لغزوها وفتحها والطريقة التي أخذوا بها بعين الاعتبار نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم وبشارته السارة في هذا الأمر، يبدو أنه إذا تم فتح القسطنطينية مرة أخرى، فإن هذا الانتصار الثاني لايكون مثل النصر الأول في عظمته وأهميته.

من أجل فهم هذا المشكلة، من الضروري معرفة خلفية القسطنطينية والمعلومات الأساسية عن نضال المسلمين لغزوها.

وقسطنطنية(Constantinople) اسم قديم لمدينة استنبول حاليًا.

في القرن الثالث الميلادي، اعتنق الملك الروماني قسطنطين المسيحية وجعل المدينة عاصمة له. سميت القسطنطينية بسبب اسمها. كانت المدينة عاصمة الإمبراطورية الرومانية لمدة ١١٠٠ عام. في القرن الخامس الميلادي، انقسم العالم المسيحي إلى إمبراطوريتين رئيسيتين. أصبحت عاصمة الإمبراطورية الغربية مدينة روما و أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الشرقية. تضمنت الإمبراطورية الشرقية البلقان واليونان وآسيا كوتشاك وسوريا ومصر والحبشة وما إلى ذلك. كان رئيس كنيسته العظيمة يدعى البطريرك (Patriarch). كما كان رئيس كنيسة الإمبراطورية الغربية يدعى البابا (Pope)[٢].

كانت للقسطنطينية أيضا مكانة غير عادية في التاريخ الديني للمسيحية.

والسبب في ذلك هو أن إحدى الكنيستين الرئيسيتين للمسيحيين قد تم إنشاؤها في هذه المدينة. كان اسمها آيا صوفيا. كانت أقدم وأقدس مكان للعبادة للمسيحيين. وكان المسيحيون يعتقدون أن الكنيسة لن يحتلها أبدا غير مسيحي.

---

[٢] وسلطنة رومة كانت قوة عظمى سياسية في وقتها وكانت هيمنتها السياسية والحضارية قائمة على العالم كله.

إن الوضع الاستثنائي للقسطنطينية هو أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر الجنة للمسلمين الذين سوف يهاجمونها. فقد جاء في البخاري:

فحدثتنا أم حرام : أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول : أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت: أم حرام، قلت: يا رسول الله انا فيهم، قال: انت فيهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله، قال: لا. (رقم٢٩٢٤)

وجاء في مسلم :عن نافع بن عتبة، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، قال: فاتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد .قال: فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نجي معهم .فاتيتهم، فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه اربع كلمات اعدهن في يدي .قال: تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله ثم فارس، فيفتحها الله ثم تغزون الروم[٣] فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله .قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم.(رقم ٧٤٦٦)[٤]

---

[٣] اريد بها قسطنطنية عاصمة السلطنة الرومانية.

[٤] في هذه الروايات ، رويت بشارتان عن النبي صلى الله عليه وسلم. الأول هو أن جيشا من المسلمين سيخرج للجهاد عن طريق البحر ويضم أم حرام (رضي الله عنه). ثانيا أول جيش من المسلمين الذين يجاهدون في غزو القسطنطينية، مدينة قيصر ، ويكون جديرا بمغفرة الله. تم تحقيق أول هذه المبشرات السارة خلال خلافة عثمان (رضي الله عنه). فقد غزا معاوية رضي الله عنه قبرص وأبحر لهذا الغرض. كانت هذه أول حملة بحرية في تاريخ المسلمين. كما شارك

إنه هجم وغادر أول جيش إسلامي لغزو القسطنطينية تحت قيادة معاوية (رضي الله عنه)، خلال خلافة عثمان (رضي الله عنه). غزا هذا الجيش قبرص. لم يفز المسلمون باحتلال قبرص ، لكن المسلمين صنعوا السلام مع أهل قبرص.ثم أرسل معاوية جيشا بقيادة ابنه يزيد بن معاوية في عهده. وحاصر هذا الجيش القسطنطينية. بعد حصار طويل ، عندما لم يتحقق النصر، عاد الجيش. بعد ذلك ، قام العديد من الحكام المسلمين بعدة هجمات على القسطنطينية ، لكن النصر لم يتمكن عليها.[٥]

في هذه الحملة الصحابي عبادة بن صامت (رضي الله عنه) وزوجته أم حرام (رضي الله عنها). على أنه قد ظهرت البشارة الثانية في خلافة معاوية رضي الله عنه ، عندما أرسل جيشا بقيادة ابنه يزيد لغزو القسطنطينية. حاصر الجيش القسطنطينية وعاد في النهاية دون انتصار. كما شارك فيها الصحابي الجليل مضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) مع الصحابة الآخرين وتوفي أثناء الحصار. وقد دفن قرب سور المدينة طبق وصيته.

[٥] وقد وصف المفتي تقي عثماني الأسباب الرئيسية لعدم غزو هذه المدينة في كتابه "جهان ديده" بهذه الكلمات:

أولا : كان موقع المدينة محاطة بالخليجات البحرية.

والثانية هي المنطقة الجبلية التي أصبح فيها فصل الشتاء لا يطاق خاصة بالنسبة للبادين من العرب.

ثالثا، كان هناك ثلاثة جدران متتالية حول المدينة، مع أبراج قوية على مسافة مائة وسبعين قدما، كان كل جدار مستحكما متماسكا جدا، وبين الجدارين الأول والثاني كان هناك خندق لايعبربسهولة يبلغ عرضه ستين قدما وعمقه مائة قدم ، وبهذا المعنى كان هذا الحصن يعتبر الحصن الأكثر استحكاما ومناعةً في العالم. ونظرا للموقع السياسي والديني الذي تمتعت به القسطنطينية في

وكان البارز من بين هؤلاء الحكام سليمان بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، والمهدي العباسي، وهارون الرشيد، وبايزيد يلدريم، وحفيده مراد الثاني.

يعود الفضل في الانتصار على القسطنطينية إلى محمد الثاني، حفيد بايزيد يلدريم. فقد حاصر القسطنطينية في ٦ أبريل ١٤٥٣، في ٢٦ ربيع الأول ٨٥٧ هـ. وبعد نضال استثنائي وتاريخي، استطاع أن يفتح القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م، وفقا ليوم ٢٠ جمادي الأول ٨٥٧هـ، ولهذا أصبح معروفا في التاريخ باسم السلطان محمد الفاتح.

(للحديث صلة...)

العالم المسيحي .

رابعًا: كان العالم المسيحي بأسره يستعد في كل مرة للتضحية بحياته. لهذه الأسباب ، لم تستطع معظم هذه الحصارات والغزوات للمسلمين فتح المدينة ، إلا أنه في عهد بعض الملوك قد وافق أهل القسطنطينية على دفع الجزية ، لكن المدينة لم يتم احتلالها". (٣٢١)

بقلم: العلّامة شبير أحمد أزهر الميرتهي
أخذ وترجمة عربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة لتصرّفات الراوي في ’حديث القرطاس‘

إن لهذا الحديث عن ابن عباس روايتين:

فقد أخرج الإمام البخاري روايةَ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد قبل وفاته بخمسة أيام أن يكتب للأمة شيئًا.

وقد روى هذا الحديثَ عن عبد الله بن عباس كلٌّ من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسعيد بن جبير.

ورواية عبيد الله ورواية سعيد كلتاهما تتواجدان في الصحيحين: البخاري و مسلم، غير أن رواية عبيد الله غير سليمة، إذ اشتملت على أمورٍ عديدة خاطئة، بينما رواية سعيد هي الصحيحة. وسأذكر أولاً مضمون رواية سعيد بن جبير، ثم أنقل نص روايته، ثم أنقل نص رواية عبيد الله مع التنبيه على الأخطاء الواردة فيها إن شاء الله تعالى.

تُوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين، وقبل وفاته بخمسة أيام، أي يوم الخميس، اشتدّ به الوجع كثيرًا، فحضر عدد كبير من الصحابة

لعيادته. فقال صلى الله عليه وسلم في شدة مرضه: «ائتوني بأدوات الكتابة»، أي بالدواة والقلم وعظم كتف الشاة الذي كانت تُكتب عليه الأمور المهمة، «أكتبْ لكم شيئًا لن تضلوا بعده".

فلما رأى بعض الحاضرين شدة ما يعانيه النبي صلى الله عليه وسلم من الألم والاضطراب قالوا: «ما شأنه؟» أي انظروا إلى ما به من شدة المرض، فليس من المناسب أن نكلّفه بالإملاء والكتابة في هذه الحال. فقال بعضهم: «أَهَجَرَ؟» أي: هل أصابه الهذيان؟ والمقصود: كما يهذي المريض عادةً عند اشتداد المرض ويتكلم بكلام غير مترابط، أفأصابه شيء من ذلك حتى نعدَّ أمره غير ذي معنى؟ أوأن كلامه حقٌّ يجب علينا امتثاله وتنفيذه.

وقال بعضهم: «استفهموه»، أي: ما الداعي إلى الاختلاف؟ سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرةً، فإن كان يريد فعلاً أن يكتب فأتوا بالدواة والقلم ونفذوا أمره. فسألوه: يا رسول الله، ألا نأتي بأدوات الكتابة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «دعوني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه»، أي لا تطلبوا مني الآن أن أُملي عليكم شيئًا مكتوبًا، فأنتم تلحّون عليَّ في الكتابة، ولكني الآن عدلت عن ذلك، وهذا خير من إملاء الكتابة.

ولذلك لم يُمْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أيَّ كتابة حتى وفاته، غير أنه أوصى يوم الاثنين .يوم وفاته .بثلاث وصايا:

الأولى: إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

والثانية: إكرام الوفود القادمة من خارج الجزيرة كما كان هو صلى الله عليه وسلم يكرمهم.

أما الوصية الثالثة فلم يذكرها سعيد بن جبير.

ومماجاء في نص الحديث:

"إن عبد الله بن عباس حين ذكر يوم الخميس تذكّر رسول الله صلى

الله عليه وسلم وشدة ما كان يعانيه، فانفجر باكيًا، حتى جرت دموعه على خديه كحبات اللؤلؤ، وسالت حتى بللت الحصى من تحتها."

والآن اقرأوا رواية سعيد بن جبير.

روى الإمام البخاري عن محمد بن سلام قال:

حدثنا ابن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم الأحول أنه سمع سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يقول: «يوم الخميس وما يوم الخميس»، ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى. قلت: يا أبا عباس، وما يوم الخميس؟ قال: «اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له؟ أهجر؟ استفهموه. فقال: ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. فأمرهم بثلاث، فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة إما أن سكت عنها وإما أن قالها فنسيتها». قال سفيان: هذا من قول سليمان صحيح البخاري، ص ٤٤٩، كتاب الجهاد، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب)-

ومعنى قوله: «ما له؟ أهجر؟ استفهموه» أن بعضهم قال: «ما له؟»، وقال بعضهم: «أهجر؟»، وقال آخرون: «استفهموه». وهذه الأقوال المختلفة هي التي عبّر عنها ابن عباس بقوله: «فتنازعوا». أما قوله: «ولا ينبغي عند نبي تنازع» فهو جملة اعتراضية من كلام ابن عباس وتعليقه؛ أي: لم يكن يليق بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن تختلف أقوالهم عنده، بل كان الأولى أن يأتوا بأدوات الكتابة بهدوء، ثم إن شاء النبي صلى الله عليه وسلم كتب أو ترك.

وأقول: إن هذه الأقوال من الصحابة رضي الله عنهم كانت طبيعية وفطرية، ولا ينبغي أن يُعبَّر عنها بأنها نزاع أو تنازع.

وقد روى الإمام البخاري الحديث أيضًا عن قتيبة بنفس الإسناد والمتن،

إلا أن فيه: «ما شأنه» بدل «ما له»، وبعد «استفهموه» زيادة: «فذهبوا يردون عليه" صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ص ٦٣٨، رقم الحديث٣).

كما رواه الإمام مسلم بواسطة سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد، عن سفيان بن عيينة بهذا الإسناد نفسه. وفي رواية مسلم ليس لفظ «أهزأً" (صحيح مسلم، كتاب الوصية ص ٤٢)

ورواه الإمام أحمد أيضًا عن سفيان بن عيينة، وفيه كذلك «ما شأنه»، وبعد «استفهموه»: «فذهبوا يعيدون عليه». وفي آخره التصريح بقول الراوي: «وسكت سعيد عن الثالثة، فلا أدري أسكت عنها عمدًا أم نسيها). مسند أحمدص ٢٢٢

والظاهر أن هذا القول الأخير من كلام سليمان الأحول.

وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث عن سفيان بن عيينة أيضًا بواسطة قبيصة بن عقبة، إلا أن في روايته تغييرًا ونقصًا؛ أما التغيير فأن جميع الرواة قالوا: «بلّ دمعه الحصى»، بينما قال قبيصة: «الحصباء». وأما النقص فإنه لم يذكر «ما شأنه» ولا «استفهموه»، وإنما اقتصر على قوله: «فقالوا: أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم». وفي آخره: «ونسيت الثالثة". (صحيح البخاري، كتاب الجهاد ص ٤٢٩)

فقد روى هذا الحديث عن سفيان بن عيينة كلٌّ من محمد بن سلام، وقتيبة، وسعيد بن منصور، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، والإمام أحمد، وقبيصة. إلا أن رواية قبيصة وقع فيها تغيير واختصار.

ولم ينفرد سليمان الأحول بالرواية عن سعيد بن جبير، بل رواه عنه أيضًا طلحة بن مصرف مختصرًا. (مسند أحمد المجلد الأول ص ٢٥٥ وصحيح مسلم المجلد الثاني ص ٢٤٢ كتاب الوصية)

وفيه: «يوم الخميس وما يوم الخميس»، ثم نظر ابن عباس إلى دموعه وهي تنحدر كأنها نظام لؤلؤ.

رواية عبيد الله

يقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان عبد الله بن عباس في إحدى حجرات بيته بمكة المكرمة، فذهبنا لزيارته، فقال ابن عباس:

إن رسول الله ﷺ قال يومًا ـ وقد اشتد به المرض ـ للحاضرين، وكان فيهم عمر بن الخطاب: "ائتوني بكتفٍ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده".

فقال عمر للحاضرين: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله. ورأى أننا لا ينبغي أن نكلّف النبي ﷺ في هذه الحالة مشقة الإملاء والكتابة.

فأيّد بعض الحاضرين عمر، وقال بعضهم: بل يجب علينا أن نمتثل أمر رسول الله ﷺ. فارتفعت أصواتهم وكثر اللغط والاختلاف، فقال النبي ﷺ: "قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع."

ثم خرج عبد الله بن عباس من حجرته وهو يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه الذي أراد أن يكتبه؛ أي إن اختلاف الحاضرين وارتفاع أصواتهم حال بينه وبين كتابة ذلك الكتاب

ولعلّ النبي ﷺ كان يريد أن يكتب أن زمام الأمة بعده ينبغي أن يكون بيد شخص معيّن، فلو كُتب ذلك لما وقع اختلاف بعد وفاته ﷺ. ولذلك يقول بعض الناس: إن علي بن أبي طالب هو الخليفة المنصوص عليه من رسول الله ﷺ، وإن الأمة أخطأت حين رضيت بخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، بينما ينكر آخرون ذلك. ولو وُجدت تلك الكتابة لارتفع هذا الخلاف عن الأمة.

وروى هذه الحديث عن عبيد الله: ابن شهاب الزهري، وعن الزهري رواه يونس بن يزيد الأيلي ومعمر بن راشد الجزري.

نص الحديث:

قال الإمام محمد بن اسماعيل البخاري:

حدثنا يحيى بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده». فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، فقال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع». فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه. كتاب العلم، باب كتابة العلم صحيح البخاري ص٢٢)-

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل رواية يونس هذه بلفظ أوضح:

حدثني وهب بن جرير، حدثنا أبي، قال: سمعت يونس، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال: «هلمّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده». وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. قال: فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف وغمّ رسول الله ﷺ قال: «قوموا عني». وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

(مسند أحمد بن حنبل١، ص٣٢٤)

وروايةُ معمر بن راشد هي نفسها أيضًا (المسند ٦٣٣/١)، وصحيح

البخاري ص٦٣٨، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وص٦٤٨، كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني، ".

ووفقًا لرواية عبيد الله بن عبد الله، فإن عبد الله بن عباس أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب تلك الوثيقة التي أراد كتابتها بسبب الضجيج والاختلاف الذي وقع بين الحاضرين. وكان ابن عباس يعدّ ذلك مصيبة عظيمة، ويرى أن منشأها كان مخالفة عمر بن الخطاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت.

وأقول: إن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يكن من السذاجة بحيث يقول مثل هذا الكلام الواهي السخيف؛ لأنه لو كانت كتابة تلك الوثيقة أمرًا ضروريًا، لكان بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعد خروج عمر وسائر الصحابة ـ أن يدعو عليًّا رضي الله عنه ويأمره بكتابتها. وكان عليٌّ من الكتّاب، وهو الذي كتب صلح الحديبية. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد يوم الخميس يوم الجمعة والسبت والأحد وأكثر يوم الاثنين، وكانت مدة كافية وطويلة يستطيع خلالها أن يستدعي عليًّا أو زيد بن ثابت أو غيرهما من الكتّاب ليكتب ما شاء، ولم يكن هناك ما يمنعه من ذلك. فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يصح أن يقال: "إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه"؟ لذلك نرى أن ابن عباس لم يقل هذا الكلام، وإنما أخطأ عبيد الله بن عبد الله فنسبه إليه.

وقد أخبر ابن عباس سعيد بن جبير أن الحاضرين لما قالوا: يا رسول الله، نأتيك بأدوات الكتابة؟ قال صلى الله عليه وسلم: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه». فاختار النبي صلى الله عليه وسلم ترك الكتابة، ولذلك منعهم من إحضار أدوات الكتابة. ففي البداية خطر له أن يكتب شيئًا، ثم تغيّر رأيه، فرأى أن ترك الكتابة أولى وأنسب.

وما رواه سعيد بن جبير معقول في نفسه؛ إذ إن النبي صلى الله عليه

وسلم كان قد همّ في أول مرضه أن يكتب عهدًا بالخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، ثم رأى أن ترك ذلك أفضل. فقد قال لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أول المرض:

"لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون".(صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض: وا رأساه ص ٦٤٨)

أي: لقد فكرت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه عبد الرحمن، وأكتب عهدًا بالخلافة لأبي بكر، مخافة أن يدّعيها أحد أو يتمناها أحد، ثم قلت في نفسي: إن الله لن يرضى بغير أبي بكر، والمؤمنون سيدفعون غيره.

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها:

"ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر". (صحيح مسلم٢/٢٧٣، الطبعة الهندية)

فالحاصل أن ما رواه سعيد بن جبير معقول، أما ما رواه عبيد الله هنا فغير معقول؛ ولذلك قلت: إن هذا الكلام ليس من قول ابن عباس.

وكذلك روى عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ارتفعت الأصوات واختلف الحاضرون تأييدًا لعمر أو ردًّا عليه، قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع». بل قال فقط: «قوموا عني». وهذا أيضًا غير صحيح ومخالف لمقام الصحابة. فهل يعقل أنهم لم يشعروا بغضب النبي صلى الله عليه وسلم وسخطه، ثم خرجوا من الحجرة الشريفة دون أن يعتذر أحد منهم بكلمة؟ أكانوا إلى هذا الحد من قسوة الحس؟

وأرى أن عبارة «قوموا عني» أيضًا ليست من ألفاظ ابن عباس. ومن الواضح أن الأمر لم يكن سرًّا حتى يكتمه ابن عباس عن سعيد بن جبير ويخبر به عبيد الله بن عبد الله وحده.

ثم إن سعيد بن جبير نقل عن ابن عباس قوله: «ولا ينبغي عند نبي تنازع»، بينما جعل عبيد الله هذه العبارة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وأنه قال لأصحابه: «ولا ينبغي عندي التنازع.

ولهذه الأسباب حكمتُ على رواية عبيد الله بالخطأ. وكان ينبغي للبخاري ومسلم أن يعرضا عنها.

نعم، وقع في رواية سعيد بن جبير خطأ في التعبير، حيث نُقلت إحدى وصايا النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"

فلفظ "المشركين" يُطلق عادة على الكفار غير أهل الكتاب، أما اليهود والنصارى فيسمَّون أهل الكتاب. والوصية بإخراج سكان جزيرة العرب كانت في الحقيقة متعلقة بكفار أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى.

فقد روى سمرة بن جندب رضي الله عنه عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان:

"أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"

(سنن الدارمي الطبعة الهندية ص ٣٣١)

وفي رواية سعيد بن جبير أُطلق لفظ "المشركين" على أهل الكتاب استنادًا إلى قوله تعالى:

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾.

(سورة التوبة: ٣١)

فباعتبار ما وقع فيه أهل الكتاب من الشرك، أُطلق عليهم لفظ "المشركين". وقد أشار الإمام محمدبن اسماعيل البخاري إلى هذا المعنى حين أورد الحديث تحت باب: "إخراج اليهود من جزيرة العرب".

بقلم: الأستاذ سيد منظور الحسن
نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

إنشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(١٤)

وقد عبّر الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي عن إعلان سورة حٰم السجدة بكونه:

"تسليةً للنبي ﷺ وتهديدًا ووعيدًا لمكذّبي القرآن".

وفي بيان ذلك كتب:

"المعنى أن هؤلاء القوم إن لم يكونوا مستعدين للإيمان بالقرآن على أساس حججه وبراهينه، بل يصرّون على مطالبة الآيات الحسية لتصديقه، فإن الوقت قريبٌ الذي ستظهر فيه دلائل حقانيته، في نواحي مكة نفسها، بل في داخل مكة، وداخل قريش ذاتها، بحيث سيضطرون إلى الاعتراف قائلين: إن هذا القرآن حقٌّ لا ريب فيه. والمقصود بـ (الآيات) مظاهر غلبة الحق وانكسار الباطل، تلك الشواهد التي سبق أن تنبأ بها القرآن. وقد ذُكرت هذه النبوءة في هذه السورة نفسها في موضع سابق، مدعومةً بالبراهين التاريخية. في البداية، حمل زعماء قريش هذه الأمور على المباهاة والتعالي، وسخروا منها، ولكن لما بدأ الإسلام يرسخ جذوره في المدينة، وفي داخل مكة وحولها، بل حتى في نفوس خيار قريش

أنفسهم، تنبَّهوا هم وداعموهم إلى خطورة الأمر. ثم بعد الهجرة وقعت أحداث من غلبة الإسلام جعلت من المستحيل على قريش، فضلاً عن الروم وفارس، أن يصمدوا أمامه." (تدبر القرآن، ١٢٨/٧–١٢٩)

وتحت الآية المذكورة من سورة النمل كتب أستاذ نا الجليل:

"أي سيتبيّن لكم أن هذه هي تلك الآيات التي كنت قد أنذرتكم بظهورها. ومن المعلوم أن هذه الآيات كلها قد تجلّت بعد الهجرة، ورآها الناس بأعينهم، فشهدوا بأن رسول الله ﷺ أخبرهم بأمورٍ كانت غايةً في الصدق." (البيان، ٥٨١/٣)

إنَّ شقّ القمر لم يكن في حقيقته إلا تعبيرًا عمليًّا عن ذلك القرار الذي كان قد أُعلن من قبل. لقد كانت هذه الآية علامةً كونيةً بالغة الغرابة، عظيمة الشأن، ظهرت في الآفاق على نحوٍ غير مألوف. وقد أبرزها ما فيها من الدهشة، والجلال، والرهبة، والهيبة بوصفها آيةً إلهيةً كبرى.

ومن حيث الطبيعة، فإنها تندرج ضمن تلك الآيات التي أظهرها الله تعالى مباشرةً، من غير أن يتوسّط فيها نبيٌّ بالفعل أو القول. فهي، بهذا الاعتبار، من جنس العلامات التي ظهرت من قبل في عهود أنبياء بني إسرائيل.

ومن أمثلة ذلك: إنزال المنّ والسلوى، وتظليلهم بالغمام، ورفع جبل الطور فوقهم، وخلق السيّد المسيح عليه السلام من غير أب.

غرض حادثة انشقاق القمر

يتّضح من القرآن أنَّ آيةَ انشقاقِ القمر كانت موجَّهةً إلى كُفّارِ قريش، وكان مقصدُها تنبيهَهم إلى "السّاعة"، أي لحظةِ القيامة. وبالنسبة لمكذِّبي الرسول، تبدأ هذه الساعةُ بالعذاب الذي يقع في الدنيا نفسها نتيجةَ الإصرار على التكذيب، ويكتمل أمرُها حين يُنفَخ في الصور فتقوم القيامة.

ولفهم حقيقة هذا العذاب، لا بُدّ من فهم دعوة الأنبياء. وتفصيل ذلك أنّ

أنبياء الله يأتون إلى الدنيا من أجل الدعوة إلى الله والإنذار والبشارة بالقيامة؛ أي إنهم يدعون الناسَ إلى الله ربِّ العالمين، ويبشّرون المؤمنين بحُسنِ المآل يوم القيامة، ويُنذِرون غيرَ المؤمنين بسوءِ العاقبة. وهذا هو الواجبُ الوظيفيُّ للأنبياء. وقد عبَّر القرآن عن هذا الواجب بهذه الألفاظ:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ....

(البقرة٢: ٢١٣)

وجاء ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ آتية:

يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا وَّ مُبَشِّرًا وَّ نَذِيْرًا. وَّ دَاعِيًا اِلَى اللّٰهِ بِاِذْنِهٖ وَ سِرَاجًا مُّنِيْرًا. (الأحزاب٣٣: ٤٥-٤٦)

إنَّ اللهَ تعالى يَختصُّ بعضَ الأنبياء، إلى جانب منصب النبوة، بمنصب الرسالة أيضًا. ومعنى ذلك أنَّ الرسول يُبيِّن الحقَّ لمخاطَبيه بيانًا نهائيًّا لا يَترك مجالًا للعذر، فتقوم حجَّةُ الله عليهم قيامًا تامًّا، وكأنَّ محكمةَ السماء تُنصَب في الأرض، فيُحسَم مصيرُ المكذِّبين الأخرويُّ حسمًا قاطعًا، ويُنفَّذ حكمُه عمليًّا في هذه الدنيا نفسها. فكأنَّ قيامةً صغرى تقوم على مكذِّبي الرسول، ويُقضى لهم بالجنة أو النار في حياتهم الدنيوية.

وتدلُّ القصصُ التي عرضها القرآن عن هؤلاء الرسل بوضوح على أنَّ هذا هو القانون الإلهي الجاري؛ فقد أُهلك منكرو نوح وصالح ولوط وهود وشعيب وموسى عليهم السلام بعذابٍ سماوي، فأُبيدوا عن آخرهم. وكذلك فإنَّ مكذِّبي رسول الله ﷺ قد أُهلكوا وفق القانون نفسه، ولكن على أيدي أصحابه، بسيوفهم، تنفيذًا للحكم الإلهي.

وفي هذا السياق، تأمَّل افتتاح السورة؛ إذ جاء فيه أنَّ الساعة — أي ساعة العذاب — قد اقتربت على منكري قريش، وهي الساعة التي كان رسول الله ﷺ يُنذرهم بها، وأنّ الله أراهم آيتها بانشقاق القمر. وبعد هذه التمهيد، أُشير إلى أخبار الأمم السابقة، وذُكِّر بأنَّهم هم أيضًا كذَّبوا رسلهم، فكان مآلهم الهلاك

التام.

فقد كذّبت قوم نوح فأُغرقوا في الماء، وكذَّبت عاد فأُهلكوا بريحٍ عاتية، فصارت جثثهم كأنها أعجاز نخلٍ خاوية تتدحرج بقوة الريح. وكذّبت ثمود فجعل الله لهم الناقة آية، فلما عقروها أهلكهم بصيحةٍ مروِّعة ورجفةٍ مهلكة، فدُمّرت ديارهم تدميرًا كاملاً. وكذّبت قوم لوط فأُهلكوا برياحٍ تحمل الحجارة، فدُمّروا تدميرًا شاملاً. وكذَّب قوم فرعون أيضًا، فأخذهم الله أخذ عزيزٍ مقتدر، ففناهم عن بكرة أبيهم.

وبعد عرض هذه الشواهد التاريخية، يقرِّر القرآن حقيقةً قاطعة: إذا كان التكذيب قد أفضى بتلك الأمم إلى العذاب، فكيف يمكن أن يكون مآل تكذيبكم مختلفًا؟ إن استمررتم على هذا النهج قليلاً بعد، فاعلموا أنّ وقت عذابكم قد اقترب هو الآخر.

وإنَّ حادثة انشقاق القمر ليست إلا علامةً من علاماته؛ فهي تُنبّه إلى أنّ القادر المطلق، الذي يستطيع أن يشقّ جرمًا عظيمًا كالقمر ثم يُعيده كما كان، لا يعجزه أن يُفرِّق تجمعاتكم ويُعيد جمعها من جديد. فكونوا على حذر: إنَّ ساعتكم—قيامتكم الصغرى—قد اقتربت، ومعها ليست القيامة الكبرى ببعيدة.

ثم جاء في ختام السورة قوله تعالى ويتلو ذلك البيان الإلهي الحاسم:

"اَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٌ مِّنۡ اُولٰٓئِكُمۡ اَمۡ لَكُمۡ بَرَآءَةٌ فِى الزُّبُرِ. اَمۡ يَقُوۡلُوۡنَ نَحۡنُ جَمِيۡعٌ مُّنۡتَصِرٌ. سَيُهۡزَمُ الۡجَمۡعُ وَيُوَلُّوۡنَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَ السَّاعَةُ اَدۡهٰى وَ اَمَرُّ .(القمر ٥٤: ٤٣-٤٦)

(للحديث صلة ...)

بقلم: د. محمود أحمد غازي
ترجمة: فضل الرحمن محمود

علم الحديث في شبه القارة الهندية

(الحلقة الثانية)

نتجت من آثار آسيا الوسطى أن الهند رحَّبت العلوم العقلية ترحيبا ملموسا. كان لتدريس علم المنطق والفلسفة في الهند منهج طويل وعميق، حتى الفقه وأصوله يُدَرَّسان باللون الفلسفي والمنطقي. إنَّ مؤلفات أصول الفقه التي أُلِّفَت في شبه القارة الهندية، كلها كتبت بأسلوب منطقي وفلسفي. إن كنتَ طالبَ أصولِ الفقه وأخذتَ أيَّ كتاب مدرسي تم تأليفه في منطقتنا، ستعرف الأسلوب الذي كان رائجا هنا. الملا محبُ الله البهاري أصولي معروف، له كتاب " مسلم الثبوت"، لو رأيته ستجد أنه أصعب كتاب في تاريخ أصول الفقه، لعله لايوجد كتاب أصعب منه في هذا المجال. لو أُشِيرت إلى أربعة أو خمسة كتب صعبة جدا في مضمار أصول الفقه، فكتاب الملا محب الله واحدٌ منها. كان أحد الشيوخ يقول: "يتصبَّب العرقُ مِن قِراءةِ هذا الكتاب". قِس عليه، كم كان للمعقولات أثر على أصول الفقه حتى بدأت تظهر الكتابات في هذا الفن على أساس عقلي منطقي بحت، فلذا انطمست أنوار الحديث مرة أخرى.

الشاه ولي الله المحدث الدهلوي:

بعدها لَفَت الشاه ولي الله الدهلوي الأنظارَ إلى علم الحديث مجددا

بإخلاص استثنائي بقي أثره إلى يومنا هذا. كل من طلب الحديث أو قام بتدريسه في شبه القارة الهندية فهو ممتن للشاه الدهلوي، لعل تسعة وتسعين في المائة من المشتغلين بالحديث في الهند يندرجون تحت سلسلته الحديثية. قلت ذلك احتياطا. يمكن أن يكون واحدا في المائة او أقل منه خارج هذه السلسلة، وإلا المرجوُّ أن مائة في المائة من العلماء المعنيين بالحديث مرتبطون بهذا الطاقم.

رحل الشاه ولي الله المحدث الدهلوي أيضا إلى الحجاز الشريفة، مكث هنا سنة واحدة. تلقى الشاه الدهلوي علم الحديث أولا من والده الشاه عبد الرحيم الذي تلمذ في مجال الحديث على الحاج محمد أفضل القاطن في مدينة سيالكوت التي تقع في إقليم بنجاب. أضاء الحاج محمد أفضل مشعل علم الحديث في هذه المدينة. فيشد الطلبة إليه الرحال بكثرة ليأخذوا علم الحديث منه. أخذ الشاه ولي الله الحديثَ في مكة المكرمة من أبي طاهر الكردي –الشيخ المعروف المنشغل بتدريس الحديث النبوي في مكة- وتلمذ عليه ثلاثة عشر شهرا. تأثر الشاه ولي الله بشخصيته جدا، حتى ألغى نية الرجوع إلى الهند، وأخبر شيخه أني أريد البقاء معك طيلة حياتي، ثم أنشد هذا الشعر أثناء كلامه:

نسيت كل طريق كنت أعرفه

إلا طريقا يؤدي إلى ربعكم

ولكن الشيخ أباطاهر الكردي أمره أن لايستعجل في اتخاذ القرار، بل يتمهل، ويعيد النظر فيه ويتفحص، ثم قال الشيخ الكردي بعد إمعان النظر في هذه القضية: لاتمكث هنا، ارجع إلى الهند، فأَرسَلَه بالحاح، فرجع الشاه ولي الله ثقيلَ القلب منحطا، ولكن يُعرف من سلسلة الأعمال التي أنجزها الشاه الدهلوي بعد الرجوع إلى الهند، والتي ظل يفوح مسكها

حتى يومنا، أن الشيخ أباطاهر الكردي كان ينوي له أمرا خاصا، فلذا أمَره بالرجوع. وقد أدرك الشاه أيضا بعد ذلك وفهم الأمر. وقد أبدع الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في ميدان علوم الحديث بطريقة مبتكرة وسعي ناجح بالغ منتهاه، وأقام بناءه على أسس متينة مخلصة دام عبيرها باقيا إلى الوقت الراهن. ثمراتُ إنجازاته ما زالت تُرى بكل لمعان وبريق، يستفيد منها الناس، وروضةُ الحديث التي شيدها لاتزال أزهارها العطرة تعطر شبه القارة الهندية منذ مائتي سنة ونصف.

أقام الشاه الدهلوي حلقة تدريس علم الحديث وعلّم هذا الفن على أعلى المستوى، وأعدّ جماعة بارعة في الصنعة الحديثية. بعثها إلى نواحي الهند المختلفة، وأنشأ المؤسسات الحديثية، وصنّف بنفسه المصنفات الحديثية باللغة الفارسية والعربية، وعلاوة على ذلك اخترع في علوم الحديث فنا جديدا – ربما لاتصلح هنا كلمة الاختراع لأن نظائره توجد من قبل – ولكن الأسلوب الذي اختاره لاتوجد أشباهه في القرون السابقة.

يجدر بالذكر أن الشاه الدهلوي رحمه الله جمع ذَخائر الحديث كلها، وطالعَها، ثم أبرز ما فيها من أسرار الدين والحِكم، وأودعها في كتابه "حجة الله البالغة" ليمثل أمام القارئ روح النبوةِ والأحاديث كلها. هذه مأثرة . لهذا الكتاب ترجماتٌ بلغتي الأردية والإنجليزية، وقام الدكتور حميد الله بنقله إلى اللغة الفرنسية، ولكنه لم يطبع بعد. طبع الكتاب باللغة العربية –اللغة التي كُتب فيها- في العالم العربي عشرات المرات واستفاد منه المسلمون في أرجاء المعمورة كلها من مراكش إلى إندونيسيا، ومن جنوب إفريقيا إلى أقصى الشمال.

اختار الشاه ولي الله المحدث الدهلوي موطأ الإمام مالك ككتاب أساسي للحديث. كان يمدحه كثيرا، ويعده أفضل وأصح من الصحيحين،

وكان ممن يعتقد أن موطأ الإمام مالك أصح الكتب بعد كتاب الله، ويزعم أن المدارس الفقهية كلها متأثرة – بطريق مباشر أو غير مباشر- بمؤطئه وهي بذرة تشعبت منها كلُ المدارس الفقهية والحديثية، ويقول: إن جميع المحدثين – بواسطة أو بدون واسطة- تلاميذ للإمام مالك رحمه الله، فلذا آثارُ شخصية الإمام مالك بارزة على أعماله الحديثية.

إن الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن – المدوِّن الأَول للفقه الحنفي- تلميذان له بدون واسطة، والإمام أحمد بن حنبل تلميذه بواسطة واحدة، فالمذاهب الأربعة كلها ترجع إلى الإمام مالك ومتأثرة بفكره بواسطة أو بدون واسطة. فينبغي أن يكون موطأ الإمام مالك أساسا لتعليم الدين كله، ليتحد المسلمون بأسرهم على رصيفٍ واحد. في رأيه، يستطيع أهل الفقه، وأهل الحديث وجميع العلماء أن يجتمعوا ويتحدوا باسم الإمام مالك، وقد أوضح رأيَه هذا في أماكن عديدة بتفصيل جدا، وانطلاقا من هذا بدأ الشاه الدهلوي تدريس الموطأ لأول مرة في تاريخ شبه القارة الهندية. له على هذا الكتاب شرحان، أحدهما باللغة الفارسية المسماة بـ "المصفى"، وهو مختصر، كتبه لعامة المثقفين، والأخرى باللغة العربية، وهو مفصل، ألفه لمهرة الحديث، والطلبة. له أعمال وكتب أخرى في علم الحديث، منها كتابه العظيم، "شرح تراجم أبواب البخاري". فيه توضيح لفقه تراجم البخاري وتبيينٌ للحِكَم فيها. تعرض لهذا الموضوع كثير من العلماء، منهم : الشاه ولي الله الدهلوي. هذه المعلومة تكون وسيلةَ المتعة والسرور لأختنا التي سألت عن تراجم أبواب صحيح البخاري.

الشاه عبد العزيز رحمه الله:

تلمذ على الشاه ولي الله الدهلوي خلق كثير. أبرزُهم نجله الشاه عبد

العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله. عاش الشاه ولي الله الواحد وستين أو اثنين وستين عاما؛ ولكن بورك في حياة الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي، توفي وهو ابن ثمانين أو خمس وثمانين سنة، ودرَّس الحديث في الهند قرابة سبعين أو خمس وستين عاما. كان عمره ثماني عشرة أو تسع عشرة سنة عند وفاة والده. وفي تلك الآونة فرغ من دراسة العلوم، وكان حديث العهد بالتدريس. تولى مهمة والده، وبدأ تدريس الحديث والقرآن الكريم. إن الحلقات القرآنية الشعبية التي نراها اليوم في شبه القارة الهندية مؤسسها الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله. لم يعهد بمثل هذه الحلقات القرآنية على المستوى الشعبي قبل ذلك. كانت تُعقد في الأسبوع مرتين. يبلغ المشاركون فيها إلى الآلاف وتحضُر فيها الأسرة المِلكية المغولية، والأمراء والسُلطات العليا أيضا. شرع جدُّه في تدريس القرآن الكريم واستمر عليه بعده الشاه ولي الله؛ ولكنه كان للعلماء فقط، في إطار محدود. ذهب الشاه عبد العزيز مرة واحدة أو أكثر إلى القصر المغولي ودرَّس هنا، كما حضر أباطرة المغول أيضا في درسه.

قام الشاه عبد العزيز قرابة سبعين سنة بتدريس موطأ الإمام مالك وكتب حديثية أخرى كما أنه ألف كتابين عظيمين في مجال الحديث، أولهما: بستان المحدثين، وهو باللغة الفارسية. ترجمته الأردية متوفرة في المكتبات. وهو أول كتاب ظهر في شبه القارة الهندية حول تراجم المحدثين وخدماتهم، ليطلع العامي على مآثرهم وجهودهم. وتأليفه الآخر، العجالة النافعة، توجد له ترجمة باللغة الأردية مع شرحه كاملا. بيَّن فيه الشاه عبد العزيز الدهلوي أصول الحديث وعلومه باختصار، وألفه ككتاب مدرسي، فدُرِّست في كثير من المدارس إلى مدة طويلة.

(للحديث صلة...)

بقلم: الدكتور محمد عامر القَزدر

مدى شرعية التأذين والإقامة في آذان المولود

(دراسة حديثية فقهية نقدية)

(الحلقة الثالثة)

المطلب الثاني: أسباب اختلاف الفقهاء في المسألة

إن السبب الأساس لهذا الاختلاف بين العلماء والفقهاء في المسألة يرجع إلى اختلافهم في ثبوت ما رُوي في الباب من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبولها وردّها. فالعلماء الذين يرون ثبوت أحاديث الأذان والإقامة في أذن المولود عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحتجُّون بها؛ هم يقولون بشرعية واستحباب التأذين والإقامة في أذن الوليد. والعلماء الآخرون الذين يصحّحون أحاديث الأذان فقط دون الإقامة، هم يرون مشروعية الأذان فحسب، وأما أصحاب العلم الذين يرون عدم ثبوت مرويّات الباب كلّها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهم يقولون بعدم شرعية هذا العمل كلّه للمولود، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى هناك من العلماء من يحتجون بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، وهم يعتبرون عمل الأذان والإقامة في أذن المولود أيضًا من فضائل الأعمال، فهم يستدلون بها في تشريع هذا العمل مع اعترافهم بضعفها من ناحية الثبوت كما قال به الدكتور سامي بن فرج الحازمي[1].

والفريق الآخر من العلماء كما لا يَحتجّ بالأحاديث الضعيفة في أيّ بابٍ من أبواب الدين، كذلك لا يقبل أحاديث الأذان والإقامة للمولود، ولا يحتج بها لعدم ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم عنده وفق الصناعة الحديثية كما قال به الشيخ أبو إسحق الحويني[2] وغيره من العلماء.

ومن المعلوم أن الفقهاء الحنفية يقولون بردّ أخبار الآحاد في الأمور والأعمال التي تعمّ بها البلوى، ويرى الباحث أن نوعية عمل الأذان والإقامة في أذن الوليد في الواقع مما تعمّ به البلوى، فأخبار الأحاد في هذه القضية تكون مردودةً عند من يعترف بهذه القاعدة الأصولية المعترف بها عند كبار العلماء الحنفية، ويطبّقها على هذا العمل خلافًا للجمهور.

وكذلك من قال من العلماء بأن هذا العمل من نوعه عملٌ مستقلٌّ بذاته، والأحكام والسنن المستقلة بذاتها لا تثبت في الشريعة الإسلامية إلا بالنقل المتواتر وإجماع الأمة، ولا بد لها أن يشرعها الشارع لعامة المسلمين ويبلّغها ويقرّرها قطعيّةً، وأن ينقلها الصحابة والمسلمون من بعدهم عن الشارع صلى الله عليه وسلم نقل العامة عن العامة كما قال به الأستاذ جاويد أحمد غامدي[3]؛ ففي ضوء هذا الضابط للأستاذ، وعند

---

[1] انظر: د. سامي بن فرج الحازمي، أحكام الأذان والنداء والإقامة (دراسة فقهية مقارنة)، ص٣٦٠.

[2] انظر: الحويني، الانشراح في آداب النكاح، ص٩٥-٩٦.

[3] انظر: غامدي، ميزان (في بيان الإسلام)، باب مبادئ تدبر السنة، ص٦٠-٦١.

من وافقه عليه من أهل العلم؛ لا يثبت عمل الأذان والإقامة في أذني الوليد استدلالاً بأخبار الأحاد المروية في الباب خلافًا للآخرين.

فيتحصّل مما سبق من كلامنا أن هناك أربعة أسباب لاختلاف أصحاب العلم في المسألة، وهي:

١. اختلافهم في ثبوت أحاديث الباب وصحتها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢. اختلافهم في اعتبار عمل التأذين والإقامة في أذن المولود من فضائل الأعمال، ومسألة قبول الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال.

٣. اختلافهم في قبول أخبار الآحاد وردّها في الأمور التي تعمّ بها البلوى.

٤. اختلافهم في قبول أخبار الآحاد في سنن الشريعة التي تستقل بذاتها.

خلاصة المبحث الثالث

إن أهل العلم قد اختلفوا في حكم الأذان والإقامة في أذني المولود قديمًا وحديثًا إلى ثلاثة أقوال، وهي:

١. استحباب وسنية التأذين في الأذن اليمنى للمولود والإقامة في اليسرى.

٢. استحباب التأذين في أذن المولود اليمنى فحسب دون الإقامة في الأذن اليسرى.

٣. عدم مشروعية الأذان والإقامة في أذني المولود.

وإن هذا الاختلاف لأهل العلم في المسألة له أسباب أصولية تقدم ذكرها آنفا.

(يُتبع)

د. عبد الوهاب المسيري

عرض وتقديم: إدارة التحرير

مقدمة لقراءة فكر علي عزت بيجوفيتش

(الحلقة الرابعة)

الأخلاق والمادية

بعد أن أكد علي عزت بيجوفيتش على حرية الاختيار كسمة إنسانية أساسية، ينتقل إلى قضية أخرى هي قضية الأخلاق، حيث يفرق بين الموقف المادي من الأخلاق والموقف الإنساني. فالأخلاق المادية (الداروينية النيتشوية) تنطلق من التسوية بين الإنسان والمادة، وبذا يصبح الهدف الوحيد لكل منهما هو البقاء، وآلياته الأساسية هي الذكاء والقوة. في هذا الإطار المادي لايمكن أن نتحدث إلا عن الفعل ورد الفعل. فالمثير (المادي) تتبعه استجابة مادية بلا تردد أوثنائيات أو ذكريات أو كوابح أو محرمات.

في هذا الصراع من أجل البقاء (المادي) لا يفوز الأفضل (بالمعنى الأخلاقي) وإنما الأقوى والأكثر تكيفا مع قوانين الطبيعة، أي الأفضل بالمعنى الطبيعي/ المادي. ولذا فإن صوت الطبيعة هو "تخلَّص من الضمير والشفقة والرحمة... اقهر الضعفاء واصعد فوق جثثهم" على حد قول نيتشه، ابن داروين وبسمارك..!

إن كل ما فعله «نيتشه» هو تطبيق قوانين البيولوجيا علىالإنسان، فكانت النتيجة المنطقية هي نبذ الحب والرحمة وتبرير العنف والكراهية.

والأخلاق المادية هي النفعية المادية، ومن ثم يكون الانغماس في كثير من النشاطات المادية للإنسان (التي تحقق الربح المادي له) هو قمة الالتزام الخلقي المادي. خذ على سبيل المثال مايسمى بالجرائم المقنَّنة (أي التي يسمح بها القانون) "كالفن الإباحي، والكتابات الداعرة،واستعراضات العرايا، وقصص الجرائم وما شابه ذلك... أي فيلم داعر أرخص في إنتاجه عشرات المرات من إنتاج فيلم عادي وأرباحه تزيد عشرات المرات على أرباح الفيلم العادي." إن إنتاج مثل هذا الفيلم من منظور المعايير المادية أفضل من إنتاج فيلم يلتزم بالمعايير الثقافية والإنسانية.. ومع غياب أي منظومات أخلاقية متجاوزة للنظام الطبيعي المادي تصبح اللذة هي الخير والألم هو الشر، ويصبح ما يحققه الإنسان نفسه من منفعة مادية (تزيد من إمكانيات بقائه المادي) هو الخير الأعظم. أو كما يقول "بنتام" ـ صاحب مذهب المنفعة: "لقد أخضعت الطبيعة البشر لحكم سيدين، هما: اللذة والألم. فهما وحدهما اللذان يحكمان أفعالنا".

وهنا يطرح علي عزت بيجوفيتش السؤال التالي: هل يمكن للعقل (الذي يدور في الإطار المادي) أن يولد منظومات أخلاقية..؟ ويجيب عنه بالنفي: "إن العقل يستطيع أن يختبر العلاقات بين الأشياء ويحددها، ولكنه لا يستطيع أن يصدر حكمًا قيميًا عندما تكون القضية قضية استحسان أو استهجان أخلاقي.." "الطبيعة والعقل على السواء لا يمكنهما التمييز بين الصحيح والخطأ، بين الخير والشر. فهذه الصفات ليست موجودة في الطبيعة.." "إن محاولة إقامة الأخلاق علىأساس عقلي لا تستطيع أن تتحرك أبعد مما يسمى بالأخلاق الاجتماعية، أو قواعد

السلوكاللازمة للمحافظة على جماعة معينة، وهي في واقع الأمر نوع من النظام الاجتماعي"، نوع من الإجراءات والقوانين الخارجية. كما أن التحليل العقلي للأخلاق يختزلها إلى أنانية وتضخيم للذات.

ولكننا حين نتفحص الأمر بشيء من العمق نجد أن في الإنسان شيئا ما يرفض هذا النموذج المادي وأن الأخلاق الحقيقية (كما هو الإنسان ذاته) ضد الطبيعة/ المادة. فالإنسان ليس مجرد لاهث وراء اللذة أو المصلحة الشخصية كما تصوره العلوم الإنسانية العلمانية، التي تستند إلى نماذج مستمدة من العلوم الطبيعية، فهو كثيرًا ما يرفضها، بل إن الخبرة الإنسانية في مجالالأخلاق تناقض الفكرة المادية. فأي لذة توجد في الزهد والتبتّل والصيام وفي كثير من أنواع نكران الذات وكبح النفس..؟ فالإنسان يضحي بنفسه من أجل الوطن أو من أجل جوانب معنوية ليست لها أي قيمة مادية، ويموت دفاعا عن الشرف. وهو، حينما يرى مشهد العدالة المهزومة، قد يهب لنصرة المظلوم برغم القوة الغاشمة، برغم أنه يعرف أن هذا قد يودي به، وهو على استعداد للتضحية بنفسه من أجل الغير (وعنده أيضا الإمكانية للبطش به).

فإذا "غامر الإنسان بحياته فاقتحم منزلا يحترق لينقذ طفل جاره، ثم عاد يحمل جثته بين ذراعيه، فهل نقول إن عمله كان بلا فائدة لأنه لم يكن ناجحا..!؟ إنها الأخلاق، التي تدور في إطار غير مادي، هي التي تضفي القيمة على هذه التضحية عديمة الفائدة، لهذه المحاولة التي لم تنجح."

وكما يقول بيجوفيتش: فإن التضحية "تمثل ظهور مبدأ جديد (خطًّا فارقًا ملموسًا فاصلاً) بين الإنسان والحيوان. لكن هذا المبدأ مناقض لمبدأ المصلحة والمنفعة والحاجات. المصلحة حيوانية، أما التضحية

فهي إنسانية" (والأفكار الأساسية في السياسة والاقتصاد السياسي لا تتعامل معالتضحية وإنما تتعامل مع المصلحة والمنفعة).

إن الأخلاق الحقيقية ليست مربحة.. "ويمكن تصور مواقف عديدة يكون الظلم فيها والكذب هما المفيدين (من الناحية المادية.) وبالمثل، فإن التسامح الديني والسياسي والعرقي والوطني ليس مفيدًا بالمعنى (المادي) المعتاد للكلمة، أما تدمير الخصوم مثلا.. فهو أكثر فائدة من وجهة النظر العقلية (المادية) البحتة. فحماية العجزة والمقعدين، أو العناية بالمعوقين والمرضى الذين لا أمل في شفائهم، كل ذلك ليس من قبيل السعي وراء الفائدة. فالأخلاق لا يمكن أن تخضع لمعايير المنفعة. نعم.. قد يكون السلوك الأخلاقي أحيانًا مفيدًا، ولكن ليس معنى هذا أن شيئا قد أصبح أخلاقيا لأنه أثبت فائدته في فترة ما من فترات الخبرة الإنسانية. على العكس.. فهذه الخبرة نادرة الحدوث".

ثم يتناول علي عزت بيجوڤيتش مفهوما محوريا في الحضارة الغربية، وهو مفهوم التقدم (في الإطار المادي)، ويدرسه في إطار علاقته بالأخلاق. فيشير إلى ما يسمى "عقدة الإنسان البدائي" وهي قيام الإنسان البدائي بأفعال تتناقض وتطوره وتقدمه المادي مثل مفهوم المحرمات والعبادة والفن. فبينما كانت الحيوانات تحقق صعودًا في سلم التطور، نجد الإنسان يكبّل نفسه بالتزامات أخلاقية تجعله يتعثر. فهل هذا يعني تقدم الحيوان وتخلف الإنسان..!؟

وثمة مفهوم آخر عرض له بيجوڤيتش، وهو مفهوم المساواة، حيثما يرى أن هذا المفهوم لا يمكن أن يتحقق في الإطار المادي. فلو نظرنا إلى البشر ورصدناهم بطريقة علمية مادية لوجدنا التفاوت بينهم في الصفات، فهذا بَدين وذاك نحيفٌ، وهذا ذكي وذاك غبي، وهذا جمجمته

كبيرة وذاك جمجمته صغيرة، وهذا أبيض وذاك أسود، وهذا أصفر وذاك أحمر. وبناء على هذا الاختلاف يمكن أن نختار فنقرر ألا يبقى إلا الأذكياء، أما الأغبياء فلنتخلص منهم، بمعنى أن عملية الرصد أو عملية الحكم العلمية المادية لا تنطوي على فكرة المساواة على الإطلاق.

ويبيّن علي عزت بيجوفيتش أن ثمة علاقة بين فكرة المساواة بين الناس وفكرة الخلود. ومن ثم نجد أن "أخلاقيات الأديان السماوية وحدها تسلّم بجلاء لا لبس فيه بمساواة جميع البشرباعتبارهم مخلوقات الله. أما النظم الدينية والأخلاقية التي لا تعترف بالخلود أو لديها فكرة مشوشة عنه، فهي لا تعترف بالتالي بهذه المساواة. فإذا لم يكن الله موجودًا، فإن الناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين."

الفن والدين

وفي محاولته تقويض النظرية المادية الداروينية يشير علي عزت بيجوفيتش إلى الفن باعتباره تعبيرًا عن ثنائية الإنسان (أي: باعتباره كائنا طبيعيًا/ ماديًّا، قادرًا في الوقت نفسه على تجاوز الطبيعة/ المادة). ولتوضيح وجهة نظره هذه يؤكد أن الفن (شأنه شأن الأخلاق والدين وكل الظواهر الروحية) يتجاوز الرؤية المادية، ولذا لا يمكن تفسيره تفسيرًا ماديًّا. فالعلم (الذي يدور في الإطار المادي) يعطينا صورة دقيقة عن العالم، ولكنها صورة خالية من "الحياة" ومن الروح، مما يجعل الإنسان خلوًا من الإنسانية، فالهيكل العظمي للإنسان، مهما كانت دقته وفائدته، ليس هو الإنسان الفرد في نبله وخسته، وفي عظمته وضعفه. إن العلم في علاقته بالإنسان ممكن فقط، إذا كان الإنسان حقا جزءًا من العالم أو نتاجا له.

على عكس ذلك نجد الفن، فاللوحة الفنية لا تُحلّل إلى كمية الألوان المستخدمة فيها، والمسجد لا يمكن أن يُرد إلى عدد الأحجار والأعمدة

الخشبية المكونة له، "الفن ممكن فقط إذا كان الإنسان مختلفًا عن الطبيعة، إذا كان غريبا فيها، إذا كان هوية متميزة."

ثم ينتقل علي عزت بيجوفيتش إلى ظاهرة إنسانية مميزة أخرى وهي رغبة الإنسان في تجميل نفسه، فيميز بين هذه الرغبة الجمالية وحاجته (المادية) لتغطية جسمه وحمايته.. "هذه الحقيقة يمكن تتبعها من عصور ما قبل التاريخ حتى اليوم."

(للحديث صلة...)

الدكتور فتحي التريكي

الحداثة وما بعد الحداثة *

(الحلقة الثالثة)

سنبين في فصل لاحق (الحداثة وما بعد الحداثة) أن فلسفة ما بعد الحداثة قد قامت على انقراض القيم التي أسستها الحداثة (كفكرة التقدم والحقوق)، مما أدى إلى فراغ حاولت المعقولية الغربية أن تملأه بقيم (مركنتيلية)، تجارية دنيوية وبرغماتية. وهي إيطلقا جديدة تعتمد مقياس قيمة التبادل أنموذجا أوحد للتواصل البشري حتى إن الأفراد في المجتمع الغربي أصبحوا يمثلون ذرات مستقلة لا يربطها إلا علاقة الحاجة والمصلحة. فكأن هناك انتصارًا للفرد ضد المجموعة أو الجماعة وكأن الحرية الفردية هي المجال الذي تمتد ضمنه جميع الأفعال والقيم من أبسطها إلى أعقدها.

فلا شك أن للفردانية دورًا شديد الأهمية لاسترجاع الحرية المستلبة داخل فضاء الوجود الإنساني، ولا شك أيضًا أن الحريات والحقوق تقوم ضمنيًا على أولوية هذه الفردانية. ولكن الجديد في العولمة يتمثل في محاولة أجهزة النظام السياسي والاستراتيجي الاستيلاء على القرار والإنتاج فيما يخص هذه القيم. فالمعقولية الغربية هي وحدها التي تسطر معاني هذه القيم وحدودها وكونيّتها وهي التي تقرر مقاييس الحرية ومبادئها وحدودها،

وهي التي تعطي المعاني التي تريد إلى العدل والإنسانية والحقوق والصمود والقيم الأخرى. وفي حقيقة الأمر، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تقرر المعايير الخاصة بالحقوق وكيفية الدفاع عنها، كما تقرر الحرب والسلم في العالم مما دعا مثلا بعض المثقفين والسياسيين في فرنسا للبحث عن الاستثناء الثقافي.

فلنا نحن في البلدان العربية المختلفة مسؤولية كبيرة في ذلك، إذ إننا لم نستطع تطوير قيمنا ومقومات حضارتنا حتى نعطيها صبغة شاملة وكونية، فليس للمثقف العربي الآن الحرية الكافية للنقد والتحليل والمشاركة في النقاشات العامة واتخاذ المواقف الجريئة، لأن الحركية الديمقراطية الثقافية هي التي تولد الخيارات القيمية وهي التي تقدم لهذه الخيارات معاني تتسع لتشمل الحضارة العربية ولتجاوزها نحو الحضارات المجاورة. فالمثقف العربي - لأنه أسير اللعبة السياسية وأسير السلطة الدينية - مازال مستهلكاً للأفكار التي قد تأتيه من أعماق التاريخ، أو تتصل به من حاضره الآخر الذي هو ليس فيه. وللأنظمة السياسية العربية ضلع كبير في ذلك، لأنها هي بدورها قد استسلمت إلى العولمة وإلى قطبها الأمريكي، وليس لها خيار غير ذلك، باعتبار طبيعتها وباعتبار مآرب أصحابها ومصالحهم، وهي التي اختارت الحكم المطلق والدكتاتوري لتسيير شؤون الحياة والأفكار، بحيث هاجر الفكر من ربوعها، فتقوقع في الماضي أو التحق بالحاضر الغربي، وفي كلتا الحالتين ترك فراغًا أدّى بالمجتمعات العربية إلى التقهقر، فأصبحت مستهلكة غير قادرة على الابتكار والخلق وإنتاج الجديد.

ولو تعمنا قليلاً في ظاهرة علاقتنا بالغرب، لاستنتجنا أنها تدخل ضمن توحّد الغرب في تدبير شؤون العالم. هذا التوحّد الذي نتج كما بينا سابقا

عن إرادة الهيمنة المطلقة أصبح اليوم أكثر تصلّباً بحيث إنه قد استبعد الآخر والغير والمختلف، وبنى تصورًا ذا بُعد واحد للحياة والفكر. فقد كتب مثلاً المفكر القاضي الإسباني بلتزار كرزون "إن الغرب وهياكله السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية قد اهتمت أساسًا بالتقدم المزري والفادح للإنتاج والأرباح المعولمة، ولم تهتم بتوزيع الأرباح توزيعًا عادلاً بين الناس والشعوب. اهتمت بسياسة الاستبعاد الاجتماعي أكثر من اهتمامها بإدماج الشعوب وبسياسة تقدمية فيما يخص المهاجرين. اهتمت بإبقاء الديون الخارجية وتطويرها أكثر من اهتمامها بغرس حركية إنتاجية في هذه البلدان (غير الغربية) التي نطلب منها اليوم الإعانة والتفهم أو التي نهددها "بالحرب النهائية" بواسطة "العدل اللانهائي" أو "بالسلم الأبدية".

(انظر جريدة لوموند الباريسية ٩/١٠/٠١)

(يتبع...)

---

* كتاب "الحداثة وما بعد الحداثة"، د. عبد الوهاب المسيري والدكتور فتحي التريكي، صـ ١٧٩- ١٨٢

وجهات نظر

بقلم: الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله
نقله إلى العربية: عثمان فاروق

مسألة التطوّر والقرآن الكريم

(الحلقة الثانية والأخيرة)

[هذا العمود المعنون بـ"وجهات نظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته.]

والآن نتحوّل إلى الجانب الآخر من البحث، فنقول: على فرض أن مسألة التطور صحيحة، فإن القرآن المجيد ليس منكرًا لها بالضرورة؛ إذ إن في بعض الآيات الكريمة معاني يمكن أن يُستأنس بها للإشارة إلى هذا المفهوم.

وقد علم الناس من مقال "مسألة التطوّر وحكماء الإسلام" أن بعض فلاسفة الإسلام كانوا يميلون إلى القول بالتطور. غير أن مما يبعث على الدهشة أن الراغب الأصفهاني، وهو من أعلام المتكلمين في القرن الخامس الهجري، قد أبدى رأيًا قريبًا من هذا الاتجاه، بل الأعجب من ذلك أنه حاول أن يُلائم بين هذا التصوّر وبين دلالات القرآن المجيد. صحيح أنه لم يبلغ القول بالتطور على صورته المعروفة، غير أن في نظره لمحةً واضحة، أو شائبةً تدل على الاقتراب من هذا المعنى.

وننقل النص الأصلي من كتابه "تفصيل النشأتين" وهي كما يلي:

"في تكوين الإنسان شيئا فشيئا حتى يصير إنسانا كاملا: الإنسان يكون أولا جمادا ميتا، قال الله تعالى: وكنتم أمواتا فأحياكم، وذلك حيث كان ترابا وطينا وصلصالا ونحوها، ثم يصير نباتا، قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ و﴿ثُمَّ يَكُونُ نُطْفَةً وَعَلَقَةً وَمُضْغَةً﴾ ونحوها ثم يصير حيوانًا، وذلك حيثما يتبع بطبعه بعض ما ينفعه ويحترز من بعض ما يضرّه، ثم يصير إنسانًا مختصًا بالأفعال الإنسانية. وقد نبّه الله تعالى على ذلك في مواضع، نحو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾"[1]

ولكن لما كان الإمام المذكور قد تناول هذه المسألة بإيجاز شديد، بل ببحث غير واف، فإننا نريد أن نبحث فيها تفصيلا، وأن نبيّن أنه على فرض أن مسألة التطوّر لا يمكن إنكارها، فإن القرآن لا يعارضها. وأوّل ما تقرره مسألة التطور أن الإنسان لم يُخلق دفعة واحدة، بل بلغ هذه المرحلة الأخيرة عبر أطوار متعددة: من الجماد إلى النبات، ومن النبات إلى الحيوان، ومن الحيوان إلى الإنسان. وقد دلّت آيات كثيرة من القرآن المجيد على أن الإنسان خُلق في مراحل متعدّدة. ومن أظهر هذه الآيات قوله تعالى[2]:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

فهذه الآية تدلّ دلالة واضحة على أن القرآن المجيد يصرّح بأن الإنسان خُلق في أطوار متعدّدة. وقد فسّر المفسرون المتقدمون هذه الأطوار بأن الإنسان كان أولا شيئا غير طاهر، ثم صار لحما، ثم نُفخت فيه الروح، فصار إنسانا. ونحن

---

[1] صـ ٣٠

[2] نوح ٧١: ١٣-١٤

لا ننكر هذه الأطوار ولا هذا التفسير، وإنما الكلام في أن المعنى الذي نذهب إليه يمكن أن يكون صحيحا أيضا. ومن الظاهر أنه يمكن أن يكون كذلك، وهذا هو مقصودنا: أن القرآن لا ينكر هذا النوع من التطوّر.

والقانون الثاني من قوانين مسألة التطور أن ترقّي الإنسان يبدأ من الجماد، أي أن الإنسان كان في الأصل جمادا. وقد صرّح الله في القرآن المجيد في مواضع كثيرة بقوله: "كنتم ترابا"، و"خلقنا الإنسان من طين"، و"بدأ خلق الإنسان من طين"، قال الله تعالى[٣]:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾

فهذه الآية لا تدل على أن الإنسان كان في الأصل جمادا فحسب، بل تدل أيضا على أن بداية نشأته كانت من هذا الأصل.

ويقول تعالى في موضع آخر[٤]:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾

فالمراد بالموت هنا الجماد، وبالحياة الإشارة إلى أنه أُعطي النماء والحركة، أي رُقّي إلى درجة أعلى، فصار نباتا. وهذا هو الطور الثاني من أطوار مسألة التطور، أي انتقال الإنسان من الجماد إلى النبات، فكأنه بذلك دخل في المرحلة الثانية من مدارج الارتقاء.

وقد أشار القرآن المجيد إلى هذه المرحلة تصريحا في قوله تعالى[٥]:

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾

فهذه الآية الكريمة تدل على أن الإنسان كان في مرحلة من مراحله نباتا. وإلى هذا الطور أيضا إشارة في موضع آخر من القرآن المجيد[٦]:

---

[٣] السجدة ٣٢: ٧

[٤] البقرة ٢: ٢٨

[٥] نوح ٧١: ١٧-١٨

[٦] النجم ٥٣: ٣٢

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾

ووفقاً لنظرية موسيو كنتن، فإن الكائنات الحية نشأت في الماء، وفيه نشأت وترعرعت، واكتسبت الحياة من الموجودات غير الحية. وقد أشار القرآن المجيد إلى هذا المعنى بقوله تعالى[٧] :

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

فهذه الآية تدلّ على أن الحياة قد نشأت من الماء، وأن سلسلة الكائنات الحية بدأت منه.

وقد يُقال، كما ذهب إليه بعض المفسّرين، إن المراد بالماء هنا النطفة على سبيل المجاز، غير أن المعنى الذي نذهب إليه محتمل أيضا، بل هو أرجح من وجه، لأن لفظ "حيٍّ" عام يشمل جميع الأحياء، بما فيها الحشرات والنباتات، مع أن هذه لا تنشأ كلها من النطفة، ولكنها لا تنفك عن الماء.

ثم نمضي فنقول، إن الإنسان كان حيوانا، ثم صار إنسانا، كما يدل عليه قوله تعالى[٨] :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ۚ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

فهذه الآية الكريمة قد أجملت أطوار الخلق الإنساني، فذكرت ابتداء خلق الإنسان من الطين، ثم تجاوزت بعض المراحل الوُسطى، لتصل إلى المرحلة التي تبدأ منها الحيوانية. وما ذكر فيها من النطفة واللحم والعظام إنما هو بيان لمرحلة ما قبل الإنسانية، أي طور الحيوانية، إذ هذه هي اللوازم التي يقوم بها الكائن

---

[٧] الأنبياء ٢١: ٣٠

[٨] المؤمنون ٢٣: ١٢-١٤

الحيواني. وهذا هو طور الحيوانية، الذي بعده قال الله تعالى: "ثم أنشأناه خلقا آخر"، أي نقله إلى مرتبة أخرى، هي مرتبة الإنسان.

ويقول أنصار مسألة التطوّر أيضا إن جنين الإنسان في رحم أمّه يمرّ، في طور الحيوانية، بأشكال متعدّدة من الحيوانية، كما سبق بيانه. وقد عبّر القرآن المجيد عن هذا المعنى بقوله تعالى[٩]:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾

فبعد تقرير هذه المسألة، يبرز بحث آخر يتعلّق بحضرة آدم. ويظن مخالفو مسألة التطوّر، في الغالب، أن وجود آدم وصحة مسألة التطور أمران متناقضان لا يمكن اجتماعهما، وليس الأمر كذلك. فإن من يسعى إلى التوفيق بين العقل والنقل يمكنه أن يقول، إن أول إنسان وُجد وفق هذا التدرج هو نفسه أبو البشر آدم.

وفي ختام البحث، نقول مخاطبين فلاسفة العصر، إن مسألة التطور إذا كانت صحيحة، فإن القرآن لا ينكرها، بل إن من معتقدنا، نحن المسلمين، أن القرآن المجيد لا يمكن أن يخالف حقائق العلم الصحيحة أبدا.

وفي الختام، نعرض في خدمة العلماء الكرام أن المعاني التي قررناها للآيات المتقدمة إنما قصدنا بها إسكات أصحاب النزعة الفلسفية. ومع أن المفسرين قد فهموا لهذه الآيات معاني أخرى، ونحن لا ننكر صحتها، فإن المعاني التي أخذنا بها بقصد التوفيق بين العقل والنقل ليست خاطئة أيضا، إذ إن ألفاظ القرآن المجيد تحتمل كلا المعنيين. (بشكر مجلة "الندوة"، يناير ١٩٠٨م)

---

[٩] الزمر ٣٩: ٦

بقلم: الدكتور وارث مظهري*
تقديم: الأستاذ محمد حسن إلياس
ترجمة من الأردية: أ. عثمان فاروق

سرد التجديد والتجدّد

[يقرّر العالم والمفكّر الهندي المعروف الدكتور وارث مظهري في هذا المقال الموجز، على قصره وغناه بالبصيرة، التمييز بين 'التجديد' و'التجدّد' بعبارة واضحة الدلالة؛ فالتجديد عنده هو إحياء روح الدين وإعادة بعثها وتنقيتها من الشوائب الدخيلة في حين أن التجدّد اتجاه ينفصل عن الامتداد التاريخي والفكري للدين، ويسعى إلى صوغه وفق معايير مغايرة. وبذلك يكون التجديد إحياء للتراث في أفقه الحي، بينما يكون التجدّد انقطاعا عنه.

وقد عرض دكتورنا الغالي وارث مظهري هذا التصوّر بميزان دقيق، فقرّر أن أفكار سيد أحمد خان وغلام أحمد برويز وآصف علي فيضي وعنايت الله المشرقي تندرج في دائرة التجدّد، لما تنطوي عليه من تبدّل في مجمل تصور الدين وتعبيره. وعلى الضد من ذلك، فإن جهود أعلام

* عالم وأستاذ وكاتب وناقد، خرّيج دار العلوم ديوبند، وحاصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من الجامعة الملّية الإسلامية بنيو دلهي. ويعمل حاليًّا أستاذًا مساعدًا للدراسات الإسلامية في جامعة همدرد بنيو دلهي، الهند.

مثل شبلي النعماني وأبو الكلام آزاد وأبو الأعلى المودودي وأمين أحسن الإصلاحي وجاويد أحمد غامدي تقع في نطاق التجديد، إذ تصدر عن داخل البُنية الكلية للفهم الديني، وتكشف عن آفاق تعبيرية بديعية. وهذا التمييز يمثل ركنا منهجيا أساسيا في مباحث الفكر، وإغفاله يفضي إلى مغالطات فكرية جسيمة. محمد حسن إلياس]

إن موضوع 'التجديد' و'التجدّد' ظلّ في سياقاته الفكرية المتعدّدة، محلّ نقاش دائم في إطار الفكر الإسلامي وتراثه كما جرت محاولات لتأصيله وضبط معاييره؛ لتوضيح أيّ جانب من جوانب تعبير الفكر الإسلامي ينطبق عليه مفهوم التجديد، وأيّ جانب آخر يُطلق عليه التجدّد.

فمصطلح 'التجديد' مصطلح دينيّ خالص مستمدّ من حديث النبي عليه الصلاة والسلام، ويعني إحياء أصل الدين وروحه وتنقيته من الشوائب الداخلية والخارجية. أما 'التجدّد' فيستعمل للدلالة على التأويل المنحرف للدين. غير أن مصطلح 'التجدّد' حديث العهد؛ إذ لا يستعمل في اللغة العربية بهذا المعنى.

وفي العربية تُطلق كلمة 'التجديد' على كلا الجانبين، التجديد والتجدّد، ويفرق بينهما بالنظر إليهما بوصفهما اتّجاهين متقابلين؛ فيعبّر عن الاتّجاه الأول في تفسير الفكر الديني بأنه إسلامي، بينما يُوصف الاتّجاه الثاني بأنه عِلمانيٌّ (Secular) غير إسلامي أو عصرانيّ.

كما تُوجد في العربية مصطلحات أخرى مثل 'الحداثة' التي تستعمل للدلالة على (Modernism) في الانجليزية. وعلى هذا الأساس، لا يظهر في العربية في الجملة نوع من الخلط بين مفهومي التجديد والتجدد، بخلاف ما يلاحظ في اللغة الأردية حيث يظهر هذا الخلط حتى في كتابات بعض الكُتّاب الرصينين.

بعد هذه التمهيد، يتصل المحور الأساس للبحث بتطبيقات مفهوم التجدد. ويلاحظ بوصفه ظاهرة علمية عامة، أنّ كل الآراء والمواقف التي تختلف عن آراء

جمهور العلماء والأئمة وتتصادم معها، تُوصف بأنها "تجدّدية". فعلى سبيل المثال، يعدّ العالم الباكستاني المتّزن الدكتور حافظ محمد زبير في قائمة المتجدّدين من بين المؤلّفين والمفكّرين العرب طه حسين وتوفيق الحكيم، كما يضمّ إليهم رشيد رضا ويوسف القرضاوي ووهبة الزحيلي، ومن المؤلّفين الهنود سيد أحمد خان وغلام أحمد برويز، بل ويعدّ كذلك الدكتور طاهر القادري ضمن صف المتجدّدين.**

وقد تناول سماحة المفتي محمد تقي العثماني في كتابه "الإسلام والتجدّد" أفكار الدكتور فضل الرحمن في هذا السياق بالتحليل، كما أدرج فيه كذلك آراء الشيخ سيد سليمان الندوي والشيخ محمد حنيف الندوي ضمن دائرة التجدّد.

وعلى هذا المنوال، يُطلق في الهند وباكستان على وجه العموم، وصف 'التجدّدية' على كُلّ فكر أو موقف يخرج عن طريقة تفكير الجمهور. ومن ثم تندرج في هذا الإطار، أفكار كُلّ من أبو الكلام آزاد ووحيد الدين خان وعمر أحمد عثماني وجاويد أحمد غامدي وغيرها من الأطروحات محلّ النقاش.

بل إن كثيرا من الكتابات، التي تغلب عليها الصبغة المذهبية العصبية، توسّع دائرة هذا الوصف لتشمل شخصيات مثل شبلي النعماني وحميد الدين الفراهي وأمين أحسن الإصلاحي وأبو الأعلى المودودي، وذلك بسبب ما تميّزت به آراؤهم في بعض آيات القرآن وأحكام السنة من اختلاف عن تصوّرات جمهور علماء الإسلام.

من حيث الاعتبار العلمي والمنهجي الخالص، يُعدّ هذا خللا فكريا كبيرا. والحقيقة أن أيا من أجيال علماء الأمة، منذ عهد الصحابة الكرام إلى العصر الحديث، لم يخلّ من وجود عدد من كبار علمائها وأعلامها ممن خالفوا جمهور علماء الأمة في موضوعات وقضايا متعدّدة. وقد وُصفت أقوالهم ومواقفهم دائما بـ 'الشذوذ' و'الانفراد'، وهو ما يُصطلح عليه في الأردية بـ'التفرّد'. ولم يُطلق

** حركة التجدّد والمتجدّدين، الباب الثاني والرابع.

عليهم بسبب هذه الآراء الشاذة وصف التجدّد ولا أيّ مصطلح بديل له.

ولو أُخذت نماذج من شخصيات بارزة مثل أبو حامد الغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم ومحيي الدين ابن عربي وشاه ولي الله الدهلوي (عليهم الرحمات أجمعين)، لكان من الممكن أن تُؤلّف في هذا الباب مجلّدات ضخمة.

وعليه، فإن من الضروري في رأيي المتواضع، استحضار جملة من الضوابط المنهجية للتفريق بين التجدّد والتجديد:

(١) أول ما ينبغي تقريره أن 'التفرّد' شيء و'التجدّد' شيء آخر. فقد درجت تقليدنا الفكرية على قبول الاختلاف مع الجمهور في شتّى القضايا العلمية، سواء كانت فقهية أو كلامية أو غيرها، ولم يُنظر إلى ذلك بوصفه انحرافا أو ضلالة، بل ظل دائما في إطار البحث العلمي والحوار الفكري. وقد أسهم هذا المسار إسهاما جوهريا في صياغة التراث الفكري الإسلامي وتشكيله. ومن هذه الجهة، فإن هذا اللون من التجدد ليس إلا وجها من وجوه اتساع التراث وامتداده؛ إذ ليس التراث كيانا جامدا، بل هو كِيانٌ حيٌّ، تنبض حياته ويتجلّى معناه في هذا الحراك الفكري المتصل.

(٢) وثمّة صورة أخرى للاختلاف مع الجمهور أو مع الفكر الإسلامي المتوارث، تتعلق بأصول الفهم والاستنباط وقواعد التعبير والتأويل: هل يجوز أن يقع فيها اختلاف أو تغيير، أم إن مقتضى الإيمان يوجب الالتزام بما قرّره السلف من أصول ومعايير دون تجاوز؟ وهذه مسألة عميقة. فثمّة اتّجاه من أهل الفكر والقلم، من ذوي النزعة العِلمانية والحداثية المتأثرين بالغرب، يدعو إلى إقامة بناء جديد على أسس جديدة، وله ممثّلون في المؤسسات العلمية والدوائر الفكرية في الشرق والغرب. وفي مقابل ذلك، يُوجد اتّجاه آخر يرى إقامة البناء الجديد على الأساس القديم، مع التسليم بأن ما كان من أصول الدين ومبادئه المستندة إلى الوحي، ولا يكاد يقع فيه خلاف معتبر، ينبغي قبوله كما هو، في حين أن ما كان داخلا في

إطار الفهم البشري والاستنباط، ضمن الأصول العامة المستمدّة من القرآن والسنة، فإن التجدّد والتغيّر فيه يُعدّ مطلبا زمنيا لازما، بل هو داخل في طبيعة الدين وروحه وتعاليمه الشمولية. ومن أمثلة ذلك موضوع 'مقاصد الشريعة' حيث إن الإطار النظري للأعمال التي ظهرت فيه ظلّ مجالا للمناقشة والنقد.

(٣) وباستحضار هذين الأصلين، يمكن القول إن 'التجدّد' في حقيقته هو ما يفضي إلى تغيير معيار فهم الدين وتفسيره تغييرا يمس بُنيته الكلية، ويؤدّي إلى حدوث نوع من الانقطاع في تاريخه الفكري المتصل، بما ينعكس سلبا على مجمل التصور الديني. وفي هذا السياق، يذكر من بين أعلام شبه القارة الهندية سيد أحمد خان وغلام أحمد برويز وآصف فيضي وعنايت الله المشرقي. ولا يصحّ في المقابل إدراج شخصيات مثل شبلي النعماني وأبو الكلام آزاد ووحيد الدين خان وجاويد أحمد غامدي ضمن هذا الإطار، كما لا يصح إدراج أعلام من العالَم العربي مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا ويوسف القرضاوي ومحمد الغزالي؛ إذ إنه على الرغم من وجود آراء شاذة أو متفرّدة لدى هؤلاء جميعا، فإن تلك الآراء والمواقف تظلّ مندرجة في الإطار الداخلي الكلي لفهم الدين وتعبيره، وليست إضافات خارجية تنفصل عن بُنيته العامة.

وخلاصة القول إن 'التجديد' يتّصل بتوسيع الفكر الديني وتطبيقه في سياقاته المعاصرة وإعادة تشكيله في إطار أصوله، في حين أن 'التجدّد' يتعلق بإنشاء هذا الفكر وابتداعه من جديد. والحقيقة أن كثيرا من الأعمال التي توصف على نحو متساهل بأنها من قبيل التجدّد، هي في أصلها داخلة في نطاق التجديد، ما دامت تتمّ في إطار الفهم الكلي للدين وبروح من الوفاء التام له والإخلاص في خدمته.

بقلم: الأستاذ محمد ذكوان الندوي*
ترجمة إلى العربية: أ. عثمان فاروق

'التعليم' أم الحركة: دراسة تحليلية

إن المنهج النبوي والقرآني في الإصلاح والتربية لا يقوم على ما اصطلح عليه في العصر الحديث بـ'الحركة'، بل يرتكز أساسا على 'التعليم'، كما دلّ عليه قوله تعالى[١٠]:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

ومن هنا عرض القرآن برنامج الإصلاح والتزكية في صياغة جامعة بليغة، تجعل من 'التعليم' محور التغيير، وأساس البناء.

المنهاج الكامل لـ"التعليم"

لقد بُيِّن كذلك أصل هذا المنهج النبوي القائم على 'التعليم' وخطّته العملية في هذه الآيات نفسها (الجمعة ٦٢: ٢)، ويتمثّل في تعليم 'الكتاب والحكمة' أي الدين والشريعة والإيمان والأخلاق. من خلال 'تلاوة الآيات'، ثم إحياء

---

* رئيس تحرير مجلة "إشراق" الإسلامية الشهرية الأردية، الصادرة عن مؤسسة المورد، الهند.

[١٠] الجمعة، ٢:٦٢

عملية 'التزكية' الفكرية والعملية في النفوس، حتى تتشكّل فيها الشخصية المنشودة في الإيمان والأخلاق، فتغدو أهلاً لرحمات الله الخالدة من مغفرة وجنّة. وذلك هو 'الفوز العظيم' (الفتح ٤٨ : ٥) الذي من أجله أُنزل القرآن.

غير أنّ هذه الهداية قد سيقت في الأسلوب القرآني الخاص؛ ولما كانت ألفاظ القرآن قطعية الدلالة، فإنّه لا ينبغي لأهل العلم أن يفتّشوا فيه عن التفاصيل الفنية المعهودة، بل الواجب أن يقفوا منه موقف المتعلّم لا المعلِّم، وأن يتدبّروا هذه الآية تدبّرًا عميقًا نافذًا.

وقد زاد القرآن هذا المنهج الإصلاحي والتربوي القائم على 'التعليم' توكيدًا، فقال[١١] :

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

أي إنّ هذا القرآن إنّما يهدي إلى الطريق الأقوم والأهدى، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنّ لهم أجرًا عظيمًا، كما يُنذر الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنّ لهم عذابًا أليمًا.

التأكيد النبوي وتوضيحه

إن هذا المنهج القرآني القائم على "التعليم"، أي تعليم الكتاب والحكمة، قد لخّصه النبي صلى الله عليه وسلم في عبارة موجزة بليغة، إذ قال:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".[١٢]

كما نبّه صلى الله عليه وسلم إلى مآلات الأخذ بهذا المنهج القرآني أو

---

[١١] الإسراء ١٧: ٩-١٠

[١٢] صحيح البخاري، ٥٠٢٧

الإعراض عنه، فقال:

"إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما، ويضع به آخرين".[١٣]

وبذلك يتبيّن أن العروج والانحطاط لا يرجعان، في حقيقتهما، إلى ما يُتداول من مظاهر تقلّبات الزمان أو دوران الدهر، بل إنهما ثمرة مباشرة للصلة بكتاب الله علما وعملا، أخذا أو تركا. وقد أحسن شاعرنا الكبير العلامة محمد إقبال التعبير عن هذه الحقيقة حين قال:

خوار از مهجورى قرآن شدى
شكوه سنج گردش دوران شدى

الترجمة: "أتعلمون لماذا أنتم أذلّة، إن السبب الحقيقي لذلّكم هو أنكم تركتم القرآن، وأخذتم تشتكون من تقلبات الزمان."

أما منزلة هذا العلم الذي يُستمدّ من القرآن، وهذه التعليم الذي ينبني عليه، فقد عبّر عنها الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بقوله:

"من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين".[١٤]

ولهذا ظل العلماء الصادقون، عند ختام أعمارهم، يقرّون بهذه الحقيقة اعترافا صادقا، أن أعظم ما يُشتغل به في العلوم الدينية إنما هو الاشتغال بكتاب الله. فهذا الإمام سفيان الثوري، ت ١٦١هـ، وهو من أعلام التابعين وأحد كبار أئمة الحديث، يقول في أواخر أيامه:

"ليتني كنت اقتصرت على القرآن".[١٥]

وكذلك عبّر الإمام ابن تيمية (ت ٦٦١هـ) عن شعور مماثل، مع أنه كان من أكثر العلماء الأجلاء اشتغالا بالقرآن تفسيرا واستشهادا، حتى قلّ أن يُرى له

---

[١٣] سنن الدارمي، ٣٢٣١

[١٤] الطبراني، ٨٦٦٦

[١٥] العلل ومعرفة الرجال، ابن حنبل، ٤٦٩/١

نظير في ذلك. وكان مع هذا من أئمة الحديث الذين بلغوا شأوا عظيما، حتى قال فيه الذهبي:

"كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث".[١٦]

ومع ذلك، فقد أبدى، قبيل وفاته، أسفه وندمه قائلا:

"وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن".[١٧]

ومن الواضح أن هؤلاء العلماء الصادقين لم ينشغلوا طوال حياتهم بأي عمل دنيوي أو مادّي، بل كانوا مكرّسين خالصا لخدمة العلم والدعوة، ولعلوم الفقه والحديث. ومع ذلك، فإن هذه الكلمات التي صدرت عنهم تمثل بلا ريب دليلا على صدقهم وإخلاصهم، كما تغدو، بالنظر إلى عنايتهم بالقرآن، وثيقة هادية وموقظة لوعي من جاء بعدهم من العلماء وأهل الإيمان: فهل من مدّكر؟

(يُتبع ...)

---

[١٦] ذيل طبقات الحنابلة، ٤/٥٠٠

[١٧] ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، ٤/٥٠٠، العقود الدرية، ابن عبد الهادي، صـ ٤١

بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: أ. عثمان فاروق

تو افق علامات القيامة في الحديث النبوي مع الأحداث التاريخية في ضوء الكتاب المقدس والقرآن

(١٢)

نزول سيدنا المسيح عليه السلام

يُعدّ نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام من السماء من علامات الساعة، وقد ورد ذكره في الأحاديث النبوية دون غيرها. وكما هو الحال في سائر النبوءات، فقد فسر هذا النزول تفسيرا رمزيا باعتباره دولة من الدول. وتنسجم هذه القراءة الرمزية مع الرؤيا الواردة في سفر دانيال، حيث شبهت المرحلة الأخيرة من إمبراطورية بابل بإنسان [١٤٢].

وتؤدّي هذه الدولة، بوصفها مخلص الإنسانية أو 'المختار' من قبل الله، أي بمنزلة 'المسيح'، دورا حاسما في المعركة العظمى بين يأجوج ومأجوج. وإن اصطفاف الدول الأوروبية بعضها في مواجهة بعض بسبب صعود الدولة الفاشية في ألمانيا، وهو ما صورته سورة الكهف[١٤٣] من 'وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ' يأجوج ومأجوج بعضهم في بعض قبل

النفخ في الصور، يعكس صورة ذلك الصدام المروع.

وعلاوة على ذلك، فقد اصطفت هذه الدولة أيضا في مواجهة الدجال، أي 'المسيح الكذّاب'، والمقصود به الاتحاد السوفيتي، تلك القوة التي رفعت شعار تخليص الإنسانية من المعاناة، لكنها في الحقيقة أصبحت وسيلة لنشر الإلحاد والاستبداد السياسي والقمع الديني. ومنذ الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الحرب الباردة، أدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الدور الرمزي في هذا السياق.

ومن الجدير بالملاحظة أن نطاق عودة عيسى بن مريم عليه السلام قد حدد في الأحاديث بذكر مواجهته للدجال ومقابلته ليأجوج ومأجوج. ولذلك ينبغي أن تبقى توقعاتنا محصورة في هذه الأحداث التي وردت في الأحاديث، لأن هذه العودة ليست عودة حقيقية للنبي نفسه، بل هي تجلي رمزي. ولولا الدور البارز الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة عالمية خلال الحرب العالمية الثانية وفترة الحرب الباردة، لكان العالم مختلفا بصورة مخيفة من حيث التقدم العلمي والجغرافيا السياسية، إذ كان من الممكن أن يؤدي تفوق الأنظمة الفاشية والشيوعية إلى تغيير جذري في أوضاع العالم.

أدلّة عدم نزول عيسى عليه السلام نزولا جسديا

ليس المقصود من هذا المقال إثبات نزول عيسى بن مريم على نحو جسدي أو رمزي، فقد تناول الباحث الإسلامي المعروف الأستاذ جاويد أحمد غامدي هذه القضية ببحث مفصّل[١٤٤].

أدلّة القرآن

تقوم أدلّة الأستاذ غامدي في نفي النزول الجسدي لسيدنا عيسى عليه

السلام على جملة من النصوص القرآنية:

تفصيل حياة عيسى عليه السلام في القرآن

يعرض القرآن الكريم جميع المراحل الأساسية في حياة عيسى بن مريم، منذ ولادته المعجزة إلى وفاته ورفعه ثم بعثه يوم القيامة. ومع ذلك، لا يرد في القرآن أي ذكر لنزوله قبل قيام الساعة، وهو ما يعد دليلا مهما في نفي فكرة النزول الجسدي.

ذكر وفاة عيسى عليه السلام ورفعه

يصرّح القرآن الكريم بوفاة سيدنا عيسى عليه السلام بوضوح، كما يذكر نجاته من الصلب[١٤٥] ورفعه[١٤٦] بعد وفاته.

عدم علمه بادعاءات الألوهية بعد رفعه

جاء في سورة المائدة[١٤٧] أن عيسى بن مريم يقول يوم القيامة إنه لم يأمر الناس قط بعبادته أو عبادة أمه سيدة مريم عليها السلام، ويبيّن كذلك أن الله وحده كان الرقيب على أعمال الناس بعد رفعه، وأنه لم يكن على علم بما وقع بعده. وتشير هذه الحقيقة إلى أنه لم يعد إلى الأرض ليشهد تلك الأحداث بنفسه.

ويرى بعض العلماء أن هذا القول يختص بمن كانوا موجودين في زمن عيسى بن مريم فقط، غير أن الشواهد التاريخية تدل على أن منح سيدة مريم مكانة ذات طابع إلهي قد ظهر سنة مجمع أفسس (Council of Ephesus)، أي بعد زمن عيسى بن مريم بعدة قرون. ولم تكن والدته تعبد بهذه الصورة في القرون الأولى من المسيحية، وإنما تطور هذا التصور في مراحل لاحقة.

وتشير هذه الحقائق إلى أن السؤال الذي سيوجه إلى سيدنا عيسى يوم القيامة لا يختص بأتباعه قبل رفعه فحسب، بل يشمل أيضا جميع النصارى

الذين جاءوا بعد ذلك، وهو ما يدل على أن عيسى بن مريم لن يعود إلى هذه الدنيا بعد وفاته ورفعه.

آراء العلماء المسلمين في نفي النزول الجسدي

لقد أثار عدد من العلماء إشكالات حول فكرة العودة الجسدية لسيدنا عيسى عليه السلام، ومن أبرز آرائهم في ذلك ما يأتي[١٤٨] :

الشيخ محمود حسن (١٨٥١-١٩٢٠)

يرى العالم الحنفي الهندي المعروف الشيخ محمود حسن أن الأحاديث الواردة في هذا الباب قد تأثرت بالروايات اليهودية، وقد وجه النقد إلى مدى ثبوتها وصحتها.

الشيخ عبيد الله السندي (١٨٧٢-١٩٤٤)

ذهب عبيد الله السندي إلى أن اليهود أدخلوا هذه الروايات بقصد إضعاف فكرة غلبة المسلمين وهيمنتهم.

العلامة محمود شلتوت (١٨٩٣-١٩٦٣)

قام محمود شلتوت بدراسة هذه الأحاديث دراسة نقدية، وأبدى تشككا في صحة نسبتها وثبوتها.

العلامة شبير أحمد الأزهر الميرتهي (١٩٢٣-٢٠٠٥)

اعتبر المحقق الشيخ شبير أحمد الأزهر الميرتهي أن هذه الروايات تتعارض مع أصل ختم النبوة.وهي تتعارض بعضها ببعض أيضا. وغيرثابتة سندًا ومتنًا. لاتخلو أسانيدها من رواة كاذبين دجالين مختلقين من الرافضة والباطنية.

الشيخ أبو الكلام آزاد (١٨٨٨-١٩٥٨)

كان أبو الكلام آزاد يرى أن نزول عيسى بن مريم لا يمكن التسليم به إلا إذا ورد به نص صريح في القرآن الكريم.

العلامة الدكتور محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨)

ذهب محمد إقبال إلى أن فكرة نزول عيسى بن مريم وظهور المهدي إنما تأثرت بعوامل ومؤثرات من خارج البيئة الإسلامية.

الشيخ قمر أحمد عثماني

يرى الشيخ قمر أحمد عثماني أن مبدأ ختم النبوة ينافي احتمال عودة عيسى بن مريم إلى الدنيا مرة أخرى.

إزالة شبهة شائعة

كثيرا ما يُستدلّ بقوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: رقم الآية: ١٥٩)

على إثبات النزول الجسدي لـ عيسى بن مريم. غير أن سياق الآية يدل بوضوح على أن الخطاب موجه إلى أهل الكتاب الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وأن الآية جاءت في مقام الإنذار والوعيد، مبينة أن هؤلاء سيدركون قبل موتهم أن القرآن الكريم هو كتاب الله الحق، وإن لم يصرحوا بذلك علانية، وسيكون هذا الإقرار يوم القيامة حجة وشهادة عليهم.

المعنى الرمزي للأحاديث الصحيحة

يُسلّم هذا المقال بصحة الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام، غير أنه يفسر الأحداث المذكورة فيها والمتعلقة بما قبل قيام الساعة تفسيرا رمزيا وتشبيهيا، لا على معنى العودة الجسدية الحقيقية.

(يُتبع ...)

الهوامش:

١٤٢- Daniel7:4: https://www.bible.com/bible/111/dan.7.4.NIV

١٤٣- Quran 18:99: https://quran.com/18/99

١٤٤- نزول المسيح عليه السلام، بقلم: الأستاذ سيد منظور الحسن، نوفمبر ٢٠٢٣، مركز غامدي للتعلم الإسلامي (أمريكا)

١٤٥- Quran 4:157: https://quran.com/4 /157

١٤٦- Quran 3:55: https://quran.com/3/55

١٤٧- Quran: 5:116-117: https://quran.com/5/116-117

١٤٨- نزول المسيح عليه السلام، بقلم: الأستاذ سيد منظور الحسن، نوفمبر ٢٠٢٣، مركز غامدي للتعلم الإسلامي (أمريكا)

بقلم: أ. د/ محمد دياب غزّاوي

نعم، كنت متعبا
(خاطرة)

ماذا لو أخبرتك يا صديقي بأن التعب قد بلغ مني ما بلغ، وأنني حاولت كثيرا أن أتخطى ما أنا فيه من الإرهاق، وأن أتجاوز ما أمر به من الإنهاك، بيد أنني لم أستطع، نعم لم أستطع، وأنى؟!؛ فقد كان الأمر فوق طاقتي، بل فوق احتمال البشر؛ ظلمات بعضها فوق بعض، متاهات مرعبة، وبيداء يهماء لا زرع فيها ولا ماء، أشائب من حدثان الحياة، خليط مما أعدته الدنيا لبني البشر من مُثْقَلَاتِ الجوى وأفانين الأسى وجماع الألم، تجمعت كلها علي، وكأن بنات الدهر لا يعرفن سواي، ولا يصبن غيري، لا أدري هل قَصَدْنَ ذلك؟! أم أن الأمر محض صدفة غريبة؟! حقيقة لا أدري، لكن الذي أدريه أنني ما عدت أستطيع العيش، وما عاد قلبي بقادر على التكيف، أفكر في الموت كل لحظة، أراني لا أقوى على تحمل الحياة بهذي الحالة التي وصلت إليها، لا أقول لك إنني أفكر في إنهائها، وأنا المؤمن بقضاء الله وقدره، لكنني في الوقت نفسه غدوت أحسد هؤلاء الذين قضوا وفارقوا، موقنا بأن الله رحمهم، ورضي عنهم؛ إذ اصطفاهم لديه، ورفعهم إليه، بل وخلصهم من هذي الحياة الظالمي أهلها، الشقي

ساكنوها، ومن ثم فكم تمنيت وتمنيت، وعسى الله أن يكتبه قريبا؛ فتهدأ النفس من ضوضاء الحياة، وتطمئن الروح من صخب الدنيا، ويتخلص القلب من مدلهمات العيش وأقذاء الخلق.

أتذكر؟! أتذكر يا صديقي حينما أخبرتك يوما أنني مرهق منهك، وأن التعب قد بلغ مني، وأنني ما عدت أطيق الحياة بهذه الصورة المرعبة، وهذي التفاصيل المزعجة، وتلك الكينونة المخيفة، وهاتيك اللوحة البشعة؟! أتذكر؟! ساعتها هززت رأسك، ثم ابتسمت لي، وظننت أنها مجرد كلمات عابرة، وحروف متناثرة، وأنني، وأنني ربما ما قلت ذلك إلا ساعة ضجر لا أكثر، ساعة من الساعات القلقة التي كثيرا ما تعرض للنفس ... حينها لم تعبأ بي يا صاحبي، ولم تأخذ كلماتي مأخذها، لم تعبأ، ليس لأنك لا تهتم بشأني، ولا تأبه لحالي، بل إنك فعلت ذلك؛ لأنك تعرفني جيدا، وتبلوني ربما أكثر من نفسي، وتعلم مقدار تحملي للمتاعب، وتدرك مدى طاقتي على اعتناق المصاعب، ويبدو أنك ظننت حينها أنني أقولها هكذا، لا ألقي لها بالا، ولا أقصدها لذاتها؛ ربما لأن كل الظروف المحيطة تؤدي بنا حتما إلى هذا الشقاء الموسوم والنصب الموشوم، لكنك في الوقت نفسه كنت متأكدا أنني لست كغيري، وأن تحملي للحياة ومواجهتي لمتاعبها ليست كسواي، كنت دائما ترى أن ما يسري على عموم الناس لا يسري علي؛ فقد عهدتني دائما وأبدا جلدا، قويا، ثابتا، مثالا للتحمل، ونموذجا للصبر على المكاره، ولذلك لم تهتم حينها لكلماتي، ولم تسمع لأنات حروفي تلك التي كانت تقطر ألما، وتنزف دما، وتذري همًّا ... ابتسمتْ لي ساعتها، ثم ربَّت على كتفي، وقلت لي: لا تقلق إنك بخير، أو ستكون بخير، لا أتذكر جيدا ما قلته لي حينها، لكنك لم تلبث أن تركتني منصرفا، لم تكن تعرف يا صديقي أنني كنت آنئذ أتضوَّرُ من الألم،

وأرتجف من الأسى والهم، وأذري من الحزن المدلهم!

آآآه يا صديقي، كم كنت أريدك أن تمكث معي، أن تظل بجانبي، كنت أريدك ألا تفارقني، كم كنت أريد أن أتحدث معك، أبوح لك بما يجيش في صدري، وما يعتمل في وجداني، نعم بل كنت أريدك أن تحتضنني, وتربت على كتفي، كم كنت أريد أن أبكي لك ومعك وبين يديك؛ علَّي أتخفف مما أنا فيه، نعم، كنت في أشد الاحتياج إلى ذلك، كنت أريدك، أحكي لك، نعم أحكي لك، وأبووووح بكل شيء، نعم يا صديقي كل شيء، فآه ثم آه!!!

لأول مرة يا صديقي كنت أرومك ألا تفارق ساحتي، ألا تغادرني، نعم وددت حينها لو أفصحت لك، وأبنت ما في نفسي وأعربت عما بداخلي من آلام، وما تعانيه روحي من أوجاع وأسقام ...

لكن لا ألومك يا صديقي في تركك لي ساعتها، بل أعذرك في تجاهلك شكواي، إن كان ثم، فما كنتُ يوما بالذي يتحدث عما بداخله، أو ينفث بما يجري له؛ فأنا الذي كنت دائما وأبدا ما أستمع إلى آهات الآخرين، وأنصت إلى أنات المحيطين، أسعى جاهدا وبكل الطرق أن أقف معهم، أخفف آلامهم، أربت على صدورهم المنهكة، وأهدهد نفوسهم المتعبة، وأطبطب أرواحهم المكدودة، كانوا كثيرا ما يلجأون إلي، طارقين بابي، قاصدين عتباتي، وهم يعرفون أنني لن أخذلهم، ولن أَتِرَهُمْ، يقصدونني وهم موقنون أنهم سيجدون عندي الملاذ الآمن، والهدوء المطمئن، لقد كنت مرفأ الأمان للخائفين وطاقة الأمل للمدنفين، وسكنا للحيارى والمشردين!

كنت كذلك، فما اشتكيت يوما، ولا تضجرت ساعة، ولمن أشكو؟! وقد ضج الصحب بآلامهم، وتواترت على القوم أحزانهم، وترادفت للأصدقاء همومهم، قد ملأهم الشقاء، وضاقت بهم اللأواء، أما أنا فما

كنت يوما بالذي يخذل صديقا أو حميما، أو يسلم صاحبا أو نديما.

آه يا صاحبي لم تكن تعرف ولم يكونوا كذلك يعرفون أنني ما ذقت السعادة يوما، ولا بلوت السرور ساعة، بل إنني كنت أوثر الجميع بما تبقى من ثمالة روح تاقت إلى الخير وسؤر نفس تعلقت بالحب، تسعد الغير، نعم, تعطي الآخر، وإن تلظت في الألم، وتمنح الجميع، وإن تشظت بين براثن الحزن المرتطم!

كانت المرة الأولى إذن يا صديقي حينما قلت لك صراحة ودونما مواربة إنني متعب, لم تكن إذن كلمة عابرة ألقيتها, ولا ألفاظا هائمة، في الطريق، وعلى مسامعك، نثرتها؛ فوالله ثم والله ما قلتها إلا لك، وما بُحْتُ بها لغيرك، ولا خرجت مني إلا في حضرتك، ولا نبستُ بها إلا في معيتك، قلتها لك وحدك دون سواك، قلتها وأنا من المنهكين، قلتها حينما ضقت ذرعا، وبلغت ما بلغت من الإيلام والشقاء، قلتها حينما هصرني الحزن، ونهشتني الهموم.

أتعلم يا صديقي أنني مكثت ساعات طوالا مترددا، وأنا أحاول السيطرة على نفسي، أحاصرها، ألجمها، أمنعها من البوح، أدفعها عن الكلام، نعم، فلم أرد أن أثقل عليك بهمومي، وأنا تاجر السعادة، أبوح لك بآلامي، وأنا أيقونة الفرح، نعم حاولت؛ فما كنت يوما بالذي يحمل الآخرين أتراحه ولأواءه، لكنها ... لكنها خرجت مني وقلتها وأفصحت عنها، ومع ذلك، وبالرغم من كل ذلك فلم تعرها، يا صاحبي، اهتماما رغم ما بها من قسوة، وما أحاطها من ثقل، فآه يا صديقي!! لقد بلغ السيل الزبى، والتقت حلقتا البطان، وفار التنور، وها هو الحزن وقد تمكن من قلبي، والوجع وقد تسرب في دهاليز روحي، والألم وقد توغل في حشاياي، والداء وقد تمكن مني، فآهٍ يا صديقي، ثم آهٍ آه!!

بقلم: د. محمد أكرم الندوي

ما "تركي"؟ *

لستُ أدري كيف تُخلق الأوهام في أذهان الناس، ثم كيف تنمو حتى تصبح كأنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها! وربما كان أعجب ما في أمر الناس أنهم يسمعون الكلمة العابرة، فيصنعون منها قصة كاملة، ثم يروونها لأنفسهم ولغيرهم حتى يطمئنوا إليها اطمئنان المؤرخ إلى الحوادث الثابتة.

ومن هذا الباب ما وقع لي مع كلمة "تركي".

فقد أكثرْتُ في السنوات الأخيرة من كتابة المقالات التي تحمل هذا العنوان، وتحدثتُ فيها عن رجل كريم من أصدقائي، هو الشيخ تركي الفضلي، المكيُّ العربيُّ الخالص، المعروف بعنايته بالحديث والإسناد، وبذوقه الأدبي الرفيع، ومجالسه التي تمتزج فيها الفائدة بالأنس، والعلم بالطرافة، حتى لا يكاد جليسه يشعر بطول الوقت وهو معه.

ولكن الناس — غفر الله لهم — يسبقون إلى الظنون سبق الخيل إلى الميدان، فما إن رأوا كلمة "تركي" حتى ذهبوا يتوهمون أني لا أزال أكتب

* رابط مقالات فضيلة الشيخ الدكتور محمد أكرم الندوي باللغات الثلاث: الأردية، الإنجليزية والعربية:

https://whatsapp.com/channel/0029VbAxp2qGpLHHqQ3LoY0w

عن تركيا وأهلها، وأنني قد عقدتُ قلمي على التغني بإسطنبول وأنقرة وبورصة وما وراءها من المدن والآثار.

وزاد هذا الظن قوةً أنني بالفعل كتبتُ كثيرًا عن تركيا، لا مقالاً ولا مقالتين، بل سلسلة طويلة من المقالات المتتابعة عن رحلاتي إليها، وعن مشاهداتي فيها، وعن لقائي بعلمائها وطلابها، وما رأيته من آثار الحضارة الإسلامية في مساجدها ومدارسها ومكتباتها ومعاهدها. ثم جُمعت طائفة من تلك المقالات في كتابي "رحلة تركيا"، وهو كتاب قصدتُ فيه إلى تسجيل الخواطر والمشاهد والانطباعات، لا على طريقة الجغرافيين الذين يعدّون الأبنية والشوارع، بل على طريقة من ينظر إلى البلاد بعين التاريخ والروح والثقافة.

ولا يزال عندي من تلك المقالات والذكريات شيء كثير لم يُطبع بعد، وسيصدر — إن شاء الله — في مجلدات أخرى؛ لأن الحديث عن تركيا يطول، ولأن هذا البلد ليس صفحة عابرة في تاريخ المسلمين، بل فصل ممتدٌّ من فصول عزتهم، وموضع من مواضع ذاكرتهم الكبرى.

ومن هنا كان منشأ الالتباس؛ فالناس رأوا كتاب "رحلة تركيا"، وقرأوا مقالاتي المتكررة عن رحلاتي إليها، ثم وقع بصرهم بعد ذلك على عنوان "تركي"، فظنوا أن الأمر كله باب واحد، وأن الرجل قد استغرقه حب تركيا حتى صار لا يكتب إلا عنها.

ولعل بعض القراء من أهل تركيا قد سُرَّ بهذا الظن سرورًا عظيمًا، حتى خُيِّل إليه أني قد جعلت نفسي شاعر البلاط العثماني المتأخر! وربما جلس أحدهم يقرأ مقال "تركي" متأهبًا لسماع أخبار البوسفور وآيا صوفيا، فإذا بي أحدثه عن شيخ مكي يروي الأسانيد، أو يلاطف جلساءه، أو ينشد بيتًا من الشعر العربي القديم، فينظر القارئ متعجبًا كأنما فُتح له باب

فدخل منه إلى غرفة أخرى غير التي أرادها.

وأنا لا ألومهم كثيرًا؛ لأن تركيا نفسها بلد يفتن القلوب، ويستدعي من المسلم عاطفة لا تكاد تخطئها النفس. فمن زارها، وتأمل ما فيها من آثار الإسلام، وشاهد ما بقي فيها من روح التاريخ، علم أن هذا البلد لم يكن يومًا طرفًا هامشيًّا في حياة الأمة، بل كان قلبًا نابضًا من قلوبها الكبيرة.

وقد كتبتُ عن هذا كله في مقالاتي ورحلاتي، وذكرتُ ما رأيته من جمال العمران، ومن عناية الناس بالعلم، ومن بقايا الهيبة التي لا تزال تسكن بعض مساجدها وجوامعها العتيقة. وكنتُ كلما سرتُ في بعض أحيائها شعرتُ أن للتاريخ فيها صوتًا خافتًا لا يسمعه إلا من أرهف السمع وأحسن الإصغاء.

لكن مع هذا كله، فإن "تركي" الذي أعنيه في تلك المقالات ليس تركيا، وإنما هو الشيخ تركي الفضلي، صديقي الذي أحببته لصفاء معدنه، وكرم خلقه، وحسن عشرته.

وهو رجل لو سمعه الناس يتحدث ساعة واحدة لما خطر ببالهم أنه منسوب إلى غير مكة؛ ففي حديثه روح الحجاز، وفي لسانه نبرة العرب، وفي طبعه تلك البساطة التي تجدها عند العلماء الذين لم تفسدهم الألقاب ولا التكاليف.

ولعلي أحببت الكتابة عنه لأنه يذكرني بذلك الجيل من أهل العلم الذين كانوا يجمعون بين الوقار وخفة الروح، فلا يثقلون على الناس بعبوس مصطنع، ولا يجعلون العلم ثوبًا من الكبر والتعالي.

وقد رأيت أن أكتب هذا البيان الصغير حتى لا يستمر هذا الوهم في الاتساع، وحتى يعلم القارئ أن مقالات "رحلة تركيا" شيء، ومقالات "تركي" شيء آخر؛ فالأولى حديث عن بلد عزيز له مكانته في قلبي وذاكرتي،

والثانية حديث عن صديق كريم له مكانته في مودتي وحياتي.

أما الذين لا يزالون يصرّون بعد هذا كله على أن "تركي" يعني تركيا، فإني أخشى أن أكتب غدًا عن "الهندي" فيظنوا أني أؤلف كتابًا جديدًا في جغرافية الهند!

(٢٠٢٦/٥/١١م، أوكسفورد)

بقلم: الأستاذ نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: أ. عثمان فاروق

حياة أمين

سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر القرآن"، هذه صفحات
من سيرته بقلم كاتبها نعيم أحمد بلوش]
(١٦)

قضية الخمسين ألفًا

حين انضمّ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى 'الجماعة الإسلامية'، كانت مجلة "الإصلاح" قد توقفت عن الصدور، ثم عادت مجلة أخرى تحمل اسم "إصلاح" إلى الظهور بعد فترة من الانقطاع. ولم يكن توقف "الإصلاح" ناشئا عن ضعف الإمكانات المادية أو شح الموارد المالية، وإنما كان ثمرة خلافات داخلية تتعلق بإدارة المدرسة وشؤونها، وكانت هذه الخلافات موجهة بصورة مباشرة إلى الشيخ الإصلاحي. ولم يشأ الشيخ الإصلاحي أن يخوض في تفاصيل تلك الملابسات، فاكتفى بإشارات عابرة وتلميحات مقتضبة، قال فيها:

"لقد آثرت دائما أن أعمل بصفتي الشخصية المستقلة. غير أن بعضهم دبّر المكائد حتى توقفت المجلة، وكانوا يظنون أن العمل سينتهي بذلك، لكن إصدار المجلة بمواردي الذاتية لم يكن أمرا عسيرا بالنسبة إليّ".

ويبدو أن الشيخ الإصلاحي كان يريد أن يقول إنه أعاد إصدار مجلة "إصلاح" بجهوده الشخصية، غير أنها توقفت مرة أخرى بسبب أزمة الورق التي نجمت عن ظروف الحرب. ثم يروي الشيخ ما جرى بعد ذلك قائلا:

"بعد هذه الأحداث كتب إليّ الدكتور حفيظ الله رسالة يخبرني فيها بأنه سيودع خمسين ألف روبية باسمي في بنك أعظم كره، وأنه سيُرسل إلي الأوراق الرسمية المطلوبة للتوقيع. فكتبت إليه معتذرا بأني لا أستطيع أن أتحمل هذه المسؤولية الثقيلة، وأنه يضع على عاتقي عبئا يفوق طاقتي، واقترحت عليه بدلا من ذلك أن يؤسس صندوقا وقفا أو هيئة ائتمانية تتولى هذا الأمر. لكنه أجابني بأنّ هذا الاقتراح غير مناسب، وقال: لن أُنشئ صندوقا؛ فأنا لا أريد أن أتيح لأحد فرصة إزعاجك أو التدخل في شؤونك، لأنهم لن يتركوك وشأنك إذا أُقيم مثل هذا الكيان. ولذلك لا حاجة إلى إنشاء صندوق، بل يمكنك أن تنفق هذه الأموال في أي عمل من أعمال الدين تراه مناسبا، وهكذا جعل المبلغ باسمي، ثم أصبحت الأوضاع على هذا النحو: كنت عضوا في الجماعة الإسلامية، وكانت المجلة قد توقفت، كما أن الظروف في المدرسة غدت غير مريحة بالنسبة إلي، مع أني أشهد الله أنني لم أكن أحمل في نفسي خلافا شخصيا مع أحد. وفي خضم هذه الملابسات وصلتني رسالة من الشيخ أبو الأعلى المودودي يدعوني فيها إلى المجيء إليه".

كان الشيخ المودودي يقيم آنذاك في قرية بتهانكوت، وكانت رسالته

إلى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي دعوة صريحة للحضور إلى هناك، حيث أُقيم المركز الكبير للجماعة الإسلامية المعروف باسم 'دار الإسلام'.

وتعود قصة هذا المركز إلى أن الأرض التي أُنشئ عليها كانت ملكا لرجل محسن هو تشودري نياز علي، الضابط المتقاعد في دائرة الري، وكان شديد التأثر بـ العلامة محمد إقبال ومتطلعا على نهجه إلى الإسهام في مشروع التشكيل الفكري الحديث للإسلام. ومن أجل هذا الهدف أوقف سبعين فدانا من أرضه وشُيّدت عليها مسجد ومؤسسة تعليمية ومبان سكنية على طراز الداخليات الجامعية.

ثم عرض على العلامة محمد إقبال أن يهيئ في هذا المكان البيئة المناسبة للعلماء والمفكرين، ليقوموا بما يرونه نافعا لخدمة الإسلام وقضاياه الفكرية. فأشار عليه إقبال بأن الرجل الأنسب لهذا المشروع هو الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي. وهكذا، وبعد سلسلة من المشاورات بين هؤلاء الأعلام، انتقل الشيخ المودودي في مارس سنة ١٩٣٨م من حيدر آباد إلى 'بتهانكوت'.

ومع مرور الوقت أصبح هذا المكان مركزا للجماعة الإسلامية، وأطلق عليه المودودي اسم 'دار الإسلام'. وكانت تلك البقعة، الواقعة على ضفاف النهر والمحاطة بالأشجار، تقدم مشهدا ريفيا آسرا يفيض هدوءا وجمالا، غير أنها كانت تفتقر إلى أبسط مظاهر الحياة المدنية؛ فلا كهرباء، ولا وسائل نقل ميسّرة. وفي تلك الظروف نفسها وجّه الشيخ المودودي دعوته إلى الشيخ الإصلاحي للقدوم إلى دار الإسلام.

ومن المؤكّد أن مراسلات متبادلة جرت بين هذين العالمين الجليلين في تلك المرحلة، غير أن أيا من تلك الرسائل لم يصل إلينا، ولا نملك اليوم سجلا يوثق تلك المكاتبات. ويبدو أن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي لم يكن ممن يعنون بحفظ الرسائل أو أرشفتها، إذ كان يميل في طبعه إلى روح

الزهد والتجرّد، بعيدا عن الاهتمام بالتوثيق والتنظيم الشكلي. ولذلك قلما احتفظ برسائل من تلقاهم أو بنسخ من مراسلاته. واللافت للنظر أن رسائل الشيخ أبو الأعلى المودودي قد جُمعت وطُبع منها عدد من المجلّدات، ومع ذلك لم يُعثر فيما نعلم على رسالة واحدة موجّهة منه إلى الشيخ الإصلاحي تتعلّق بهذه المرحلة أو بهذا الشأن على وجه الخصوص.

(يتبع ...)

بقلم: عثمان فاروق

شعيرة الأضحية:
حقيقتها ومقاصدها وأهميتها *

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، الذي شرّع لعباده شعائر الدين، وجعلها مظهرا لعبوديتهم، ودليلا على إخلاصهم ويقينهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، الذي بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وعلّم الأمة معاني الطاعة والتسليم لرب العالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى

---

* أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى أخي العزيز الدكتور محمد عامر القزدر (أحد أبرز تلامذة الأستاذ جاويد أحمد غامدي) على ملاحظاته القيّمة وتوجيهاته النافعة، وقد أفدتُ منها في إجراء التعديلات اللازمة على مقالي، فجزاه الله خيرا وبارك فيه ونفع به.

وجدير بالذكر، كُتبت هذه المقالة الموجزة في ضوء ما قرّره الأستاذ غامدي في كتابه الشهير "ميزان" باللغة الأردية، وللتفصيل يُرجع إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب التي أنجزها رئيس تحرير مجلة "الإشراق" الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي، ضمن باب "قانون العبادات"، فصل "الأضحية"، ص ٤٠٣–٤٠٨

يوم الدين.

أما بعد، فإنّ شعيرة الأضحية في عيد الأضحى المبارك تُعدّ من أجل شعائر الإسلام وأعظم مظاهر التعبُّد والخضوع لله تعالى، إذ تتجلّى فيها حقيقة العبودية الصادقة وروح الاستسلام الكامل لأمر الله رب العالمين. فهي ليست مجرد عادة موسمية أو مظهرا اجتماعيا يتكرّر في كل عام، بل هي عبادة جليلة تتجاوز ظاهر الذبح وإراقة الدماء إلى معان سامية من الإيمان والإخلاص والفداء والتقوى.

وقد لخّص القرآن الكريم هذه الحقيقة الخالدة في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

فجعل النسك، ومنه الأضحية، عنوانا لكمال العبودية ودليلا على أن المؤمن يجعل حياته كلها وقفا لله تعالى وطاعة لأمره.

وقد بيّن القرآن الكريم أن الأضحية شعيرة قديمة عرفتها الأمم السابقة، وجعلها الله تعالى وسيلة للتقرب إليه وشكره على نعمه، فقال سبحانه:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[2]

فالأضحية في حقيقتها إعلان عملي للتوحيد، وتجديد لعهد العبودية والإخبات لله تعالى، إذ يقف المؤمن بين يدي ربه خاضعا مستسلما، مقدّما أحبّ ما يملك ابتغاء مرضاته سبحانه.

وترجع هذه الشعيرة المباركة إلى ذلك الموقف الإيماني العظيم الذي سطره خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه البار إسماعيل عليه السلام، حين امتثلا أمر الله تعالى امتثالا كاملا، وقدّما أروع صورة للتسليم والفداء،

---

[1] سورة الأنعام: ١٦٢

[2] سورة الحج: ٣٤

حتى استحقّا أن يخلّد الله ذكرهما في كتابه العزيز، فقال سبحانه:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[٣]

ثم قال جل شأنه:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[٤]

فكانت الأضحية منذ ذلك الحين رمزا خالدا لمعاني الطاعة والإذعان، وشعارا متجدِّدا يربط الأمة بتاريخ الإيمان والتضحية، ويذكرها بأن حقيقة الإسلام تقوم على بذل النفس والنفيس في سبيل مرضاة الله تعالى.

ومن هنا كانت الأضحية في جميع الشرائع السماوية من أعظم وسائل التقرُّب إلى الله تعالى، لأنّ حقيقتها ليست نذر المال فحسب، بل هي في أصل معناها نذر النفس والروح لله عز وجل، غير أن الله تعالى برحمته جعل الذبيحة قائمة مقام النفس البشرية. فكأن المؤمن حين يقدّم أضحيته إنما يقدّم نفسه طاعة لله تعالى واستسلاما لأمره. ولذلك كانت الأضحية رمزا للفداء والتضحية، ودلالة على استعداد المؤمن لبذل كل عزيز في سبيل ربه.

ولأجل هذا المعنى العميق قرن القرآن الكريم بين النسك والحياة والممات، فقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥]

فالصلاة تمثل حياة القلب بالله تعالى، والأضحية تمثل استعداد المؤمن لبذل نفسه في سبيل الله. ومن هنا كانت التضحية في سبيل الحق طريقا إلى الحياة الحقيقية، كما قال سبحانه:

---

[٣] سورة الصافات: ١٠٣

[٤] سورة الصافات: ١٠٧

[٥] سورة الأنعام: ١٦٢

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٦]

فالموت في سبيل الله ليس فناء، بل هو حياة أبدية خالدة، وكذلك الأضحية تعلّم المؤمن أن الحياة الكريمة لا تنال إلا بالبذل والتضحية والإخلاص.

ومن ثم، فإن الأضحية ليست مقصودة لذاتها من حيث الذبح والصورة الظاهرة، وإنما المقصود الأعظم منها ما تورثه في القلوب من التقوى والإخبات والخضوع لله تعالى؛ ولذلك قال سبحانه:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾[٧]

فروح الأضحية إنما تتمثل في إخلاص العبد نفسه لله تعالى، وتجديد عهده مع ربه على الطاعة والتسليم والشكر، مع ما تحمله هذه الشعيرة من معان إنسانية واجتماعية عظيمة، كإحياء روح التكافل، وإدخال السرور على الفقراء والمحتاجين، وتقوية روابط المودة والتراحم بين المسلمين.

وفي ضوء هذه المعاني الجليلة، يأتي هذا المقال الموجز ليسلط الضوء على حقيقة شعيرة الأضحية ومقاصدها الشرعية وأهميتها الإيمانية، مستنيرة بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، ومبينة ما تنطوي عليه هذه الشعيرة المباركة من أسرار العبودية ودلالات الإيمان وروح التضحية والفداء.

تاريخ الأضحية:

وتشير النصوص الدينية إلى أن تاريخ القُربان قديم قدم الإنسانية نفسها، إذ يرجع إلى عهد سيدنا آدم عليه السلام. وقد ذكر القرآن الكريم قصة

---

[٦] سورة البقرة: ١٥٤

[٧] سورة الحج: ٣٧

ابنيه هابيل وقابيل، حين قدم كل واحد منهما قربانا إلى الله تعالى، فتقبّل الله قربان أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال سبحانه:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾[٨]

وتدلّ هذه القصة على أن القُربان كان منذ فجر التاريخ الإنساني وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، ومظهرا من مظاهر الإيمان والطاعة والإخلاص. وقد ورد في بعض الروايات القديمة، وفي نصوص أهل الكتاب[٩]، أن هابيل قدم من خيار غنمه وأفضلها قربانا لله تعالى، فكان قبول قربانه دليلا على صدق نيته وتقواه، إذ إن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا صادقا صادرا عن قلب مؤمن مخلص.

ومن هنا يتبيّن أن شعيرة القُربان لم تكن مجرد عمل شكلي أو طقس ظاهري، وإنما كانت منذ بدايتها مرتبطة بحقيقة الإيمان وصفاء السريرة وإخلاص العبودية لله رب العالمين.

عرفت الإنسانية شعيرة القُربان منذ أقدم العصور، فقد أشار القرآن الكريم إلى قصة ابني سيدنا آدم عليه السلام، حين قرب كل واحد منهما قربانا إلى الله تعالى، فتقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال سبحانه:

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾[١٠]

ومنذ ذلك الحين ظل القُربان وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، وعلامة على صدق الإيمان والإخلاص، ولذلك وجدت هذه الشعيرة في كثير من الشرائع والأمم القديمة.

---

[٨] سورة المائدة: ٢٧

[٩] يُنظر للتفصيل: الكتاب المقدس، العدد: ٤/٥-١

[١٠] سورة المائدة: ٢٧

غير أن الأضحية بلغت أسمى معانيها وأعظم مقاصدها في قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، حين ابتلى الله تعالى خليله بأن يذبح ابنه الذي رزقه بعد طول انتظار. فرأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه، فعلم أن ذلك أمر من الله تعالى، فبادر إلى الامتثال والطاعة، وعرض الأمر على ابنه إسماعيل، فجاء جوابه مفعما بالإيمان والتسليم:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[11]

فلما استسلم الأب والابن لأمر الله تعالى، وأظهر كل منهما كمال الطاعة والإخلاص، فدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وقال سبحانه:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[12]

ومن هنا أصبحت الأضحية شعيرة خالدة في الإسلام، يحيي المسلمون بها ذكرى هذا الموقف الإيماني العظيم، ويستحضرون من خلالها معاني الفداء والتضحية والتسليم الكامل لله رب العالمين.

المقصد الحقيقي من الأضحية:

إن الأضحية ليست مجرّد شعيرة ظاهرة تؤدّى في أيام معدودة، وإنما هي عبادة جليلة تنطوي على معانٍ عميقة من الشكر والإخلاص والتسليم لله رب العالمين. فالمؤمن حين يسوق أضحيته إلى النحر، إنما يقدّم في الحقيقة رمزا لفدائه نفسه في سبيل طاعة الله تعالى، واستعداده لبذل أحبّ ما يملك ابتغاء مرضاته سبحانه، مستحضرا في قلبه موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام، حين بلغ الغاية في الامتثال والإخبات، فقدّم ابنه قُربانًا طاعة لأمر ربه.

---

[11] سورة الصافات: ١٠٢

[12] سورة الصافات: ١٠٧

ومن هنا كانت الأضحية مظهرًا من مظاهر الشكر العملي على نعمة الهداية والإيمان، وتجديدا لمعاني العبودية والخضوع لله تعالى. ولهذا شرع الإسلام التكبير والتهليل عند الذبح، ليبقى القلب متعلقا بعظمة الله تعالى، معترفًا بفضله ونعمه، معلنا أن هذه العبادة إنما تؤدّى خالصة لوجهه الكريم.

وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة بأروع بيان، فقال سبحانه:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَـٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾[١٣]

فليس المقصود من الأضحية صورها الظاهرة، ولا لحومها ودماؤها، وإنما المقصود ما يفيض في القلوب من خشية الله وتقواه، وما يترسخ في النفوس من معاني الإخلاص والطاعة والتجرد لله رب العالمين. ثم قال تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[١٤]

إشارة إلى أن هذه الشعيرة إنما شرعت ليعظم المؤمن ربه، ويشكره على نعمة الهداية، ويزداد قربا منه سبحانه.

وهكذا تبقى الأضحية مدرسة إيمانية متجددة، تعلم الإنسان أن حقيقة الدين ليست في المظاهر والأشكال، وإنما في صفاء القلب، وصدق العبودية، وكمال التسليم لله تعالى.

أحكام الأضحية

إن الأحكام المتعلقة بشعيرة الأضحية قد نقلتها الأمة الإسلامية جيلا بعد جيل بإجماع ثابت وتواتر عملي متصل، حتى أصبحت من الشعائر

---

[١٣] سورة الحج: ٣٧

[١٤] نفس المصدر

الظاهرة التي استقرت معالمها في وجدان المسلمين وحياتهم التعبُّدية.

أ) تجوز الأضحية في جميع أنواع بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، على أن يكون الحيوان سليمًا من العيوب الظاهرة، بالغا السنّ المعتبرة شرعا، لأن هذه الشعيرة قائمة على معنى التعظيم والتقرُّب إلى الله تعالى، ومن تعظيم شعائر الله اختيار الطيب الكامل منها.

ب) أما وقت الأضحية في عيد الأضحى، فإنه يبدأ يوم النحر، العاشر من ذي الحجة، بعد الفراغ من صلاة العيد، ويمتدّ إلى آخر أيام التشريق، وهي الأيام التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[١٥]

وهذه الأيام هي نفسها التي شرع فيها للحجاج الإقامة بمنى بعد الإفاضة من مزدلفة، وقد استحب فيها كذلك الإكثار من التكبير عقب الصلوات، تعظيما لله تعالى وإظهارا لشعائر الإسلام، من غير أن تحدّد الشريعة كلمات معيّنة لذلك.

ج) وقد أباح الله تعالى للمسلمين أن يأكلوا من لحوم الأضاحي وأن يطعموا منها الفقراء والمحتاجين، تحقيقا لمعاني الرحمة والتكافل والإحسان، فقال سبحانه:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[١٦]

هذا هو قانون الأضحية، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن بعض الأمور المتعلقة بها:

١) ينبغي لمن أراد أن يضحي في شهر الأضحية أن يمسك، وفقًا للسنة الثابتة وامتدادًا للتقليد القديم للنذر المرتبط بالحج والعمرة، عن تقليم

---

[١٥] سورة الحج: ٢٨

[١٦] سورة الحج: ٣٦

أظفاره وأخذ شيء من شعره حتى يفرغ من أضحيته.[١٧]

٢) كما بيّن نبيّنا عليه الصلاة والسلام أن الأضحية لا تصحّ قبل صلاة العيد، وأن ما يذبح قبلها لا يعد أضحية شرعية، وإنما هو مجرّد ذبيحة عادية.[١٨]

٣) أنّ السنّ المستحبّة في الأضحية أن يكون الضأن أو المعز قد أتمّ سنة كاملة على الأقلّ، وأن يكون البقر أو الثور قد بلغ سنتين، وأن يكون الجمل أو الناقة قد بلغا خمس سنوات على الأقل. فإن تعذّر ذلك، جاز أن يُضحّى بكبشٍ من الضأن، ويكفي في هذه الحال أن يكون قد بلغ ستة أشهر.[١٩]

٤) ومن مظاهر سماحة الشريعة ويُسرها أنها أجازت الاشتراك في أضحية البقر والإبل، فيشترك فيها عدد من الأشخاص، ولو بلغوا سبعة أو أكثر، توسّعة وتيسيرا علينا.[٢٠]

٥) كما دلّت السنّة النبويّة على أن الذبح والقُربان لا يختصان بعيد الأضحى وحده، بل يُشرّعان أيضا على سبيل التطوُّع والتقرب إلى الله تعالى في مناسبات أخرى، كالذبح عند ولادة المولود، إظهارا للشكر لله تعالى، وإحياء لمعاني البذل والقربة والطاعة وترغيب الآخرين.[٢١]

---

[١٧] صحيح مسلم، رقم: ٥١٢١

[١٨] صحيح البخاري، رقم: ٥٥٦٠، ٥٥٦١-٥٥٦٢، وصحيح مسلم، رقم: ٥٠٦٤-٥٠٧٩

[١٩] صحيح مسلم، رقم: ٥٠٨٢، وسنن أبي داود، رقم: ٢٧٩٩، وسنن النسائي، رقم: ٤٣٨٣

[٢٠] مسلم، رقم: ٣١٨٦، ابن ماجة والترمذي، رقم: ١٥٠١، وسنن النسائي، رقم: ٤٣٩٧

[٢١] صحيح البخاري، رقم: ٥٤٧٢، وسنن أبي داود، رقم: ٢٨٤١

خاتمة المقال:

وفي ختام هذا المقال يتبيّن لنا أنّ الأضحية ليست مجرد عادة موسمية أو مظهر احتفالي يرتبط بعيد الأضحى، بل هي شعيرة ربانية عظيمة تحمل في طياتها معاني الإيمان والإخبات والتقوى والتسليم لأمر الله تعالى. وقد شرعها الله سبحانه إحياءً لذكرى الموقف الإيماني الخالد الذي جسّده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، حين قدّما أروع مثال للطاعة المطلقة والانقياد الكامل لله عز وجل.

ومن هنا كانت الأضحية في جميع الشرائع السماوية من أعظم وسائل التقرُّب إلى الله تعالى، لأن حقيقتها ليست بذل المال فحسب، بل هي في أصل معناها بذل النفس والروح لله عز وجل، غير أن الله تعالى برحمته جعل الذبيحة قائمة مقام النفس البشرية. فكأن المؤمن حين يقدّم أضحيته إنما يقدّم نفسه طاعة لله تعالى واستسلامًا لأمره، ولذلك كانت الأضحية رمزًا للفداء والتضحية، ودلالة على استعداد المؤمن لبذل كل عزيز في سبيل ربه. كما أن حقيقة الأضحية لا تتمثل في اللحم والدم، وإنما في ما تغرسه في قلب المؤمن من الإخلاص والتقوى والامتثال لأمر الله تعالى، مصداقًا لقوله سبحانه:

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾

ومن هنا ينبغي لنا أن نستحضر المقاصد الإيمانية والروحية للأضحية، وأن يجعلها مناسبة لتجديد معاني الرحمة والتكافل والمحبة بين أفراد الأمة.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل منا أضحياتنا وعباداتنا، وأن يجعل عيد الأضحى المبارك عيد خير وبركة ووحدة وسلام للأمة الإسلامية جمعاء.

من أقلام الشباب

بقلم: علقمة صفدر *

العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي – باحثٌ ومفسِّرٌ مغمورٌ لم يُعرَف حقَّ المعرفة

كان العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي واحدًا من أولئك الأفذاذ النوابغ في العلم الذين نَدَر مثلُهم في العصر الحديث. وقد أفنوا حياتهم كلَّها في تدريس القرآن والسنة وشرحهما والتأليف فيهما. فقد درَّس من صغار الكتب الدينية إلى كبار المصنَّفات الخالدة التي طار ذكرها واشتُهرت بين أهل العلم، وألَّف تفسيرًا كاملاً للقرآن الكريم تميَّز بأسلوب تصنيفي ومنهج بحثي مغاير تمامًا للتقاليد المألوفة، وتعمَّق في دراسة أمَّهات كتب الحديث وأشهرها، فأشار إلى الروايات الضعيفة والواهية فيها وتكلَّم عليها بالتفصيل، وميَّز الصحيحَ من السقيم في الروايات، مُبرهِنًا على ملَكته البحثية، ونزعته الاجتهادية، وذوقه العلمي الرفيع.(وقد طبع أخيرًا هذا التفسير بمجلدات خمسة ضخمة باللغة الأردية من مؤسسة الدراسات الموضوعية بـ علي كره)

ولمن يتأمّل إنتاجه يجد مئاتٍ من النوادر العلمية والتحقيقات الفنية

---

* طالب في الماجستير بالجامعة الإسلامية علي كره.

الدقيقة، التي لا تُثري طالب العلم بالمعرفة وحسب، بل تُعزّفه أيضًا بروح التحقيق والتأليف والاجتهاد العلمي. وهو يتعلَّم منها كيف تُفهم قواعد التدبُّر في القرآن، وكيف تُستوعب الأحاديث، وكيف تُمحَّص الروايات الأسطورية المتداولة في المجتمع، وكيف تُعرف الإسرائيليات في كتب الحديث، وكيف يُمارس الاجتهاد في المسائل العلمية، وكيف يُخالَف الأئمةُ المجتهدون مع الإجلال والاحترام — وجملة ذلك: منهج طالب العلم في الاجتهاد والاختلاف في العلوم الدينية.

أما في حياته الخاصة، فقد كان العلامة الميرتهي بالغ البساطة، عزيز النفس، مكرِّسًا نفسَه للعلم والمطالعة. وكان الانزواءُ راسخًا في طبعه إلى حدٍّ جعله يزهد في المحافل والمناسبات العامة، ويندر أن يتصدَّى للخطابة، ويؤثر الانكفاء على نفسه دائمًا. وإن كان هذا الانزواء قد أتاح له ثمرةً نفيسة هي توفير الوقت وصرفه في العلم، فإنه في الوقت ذاته كان سببًا في حرمان الناس — بل وكثيرٍ من أهل العلم أنفسهم — من التعرُّف على قدره ومكانته؛ فلم يعرفه الناس حقّ المعرفة. وكأنّ الإمام الميرتهي كان بطبعه مصداق قول الشاعر حالي بالأردية:

"شہر میں کھولی ہے حالیؔ نے دکاں سب سے الگ"

أي فتح "حالي "حانوتَه في المدينة في معزلٍ عن الجميع وبمنأى عن الناس.

مكانته العلمية

كان العلامة الميرتهي في أصله عالمًا بالقرآن والحديث، ماهرًا في أسرارهما، غير أنه كان يمتلك إلى جانب ذلك بصيرةً عميقة في سائر العلوم والفنون الإسلامية. وقد كتب نجله الدكتور غطريف شهباز الندوي في سيرة والده:

"كان المولانا متمكِّنًا من جميع العلوم الإسلامية تمكُّنًا راسخًا. وقد قرأتُ عليه بنفسي كتبًا متعددة في شتى الفنون: في المنطق هداية الحكمة والقطبي في مباحثه الأولى، وفي النحو هداية النحو، وفي القافية والقواعد والإنشاء النحو الواضح، وفي الفقه مختصر القدوري، وفي التاريخ تاريخ ابن طباطبا الطقطقي بالعربية، وفي الأدب العربي القراءة الرشيدة المصرية، وفي الحديث سنن الدارمي، وفي التفسير تفسير الجلالين، فضلاً عن ترجمة بعض سور القرآن الكريم. وكان فوق ذلك يتبادل معي السؤال والجواب في تفسير آيات قرآنية متنوعة، ويطرح أسئلة جديدة ويستفسر عن إجاباتها، وربما أوضحها بنفسه في أحيان كثيرة."

(وه بندۂ مولا صفات، ص ٣٧)

وكان للإمام الميرتهي إلمامٌ بأربع لغات في آنٍ واحد. وكان يتحدَّث الأردية والعربية بطلاقة بالغة، وبهما جاءت تصانيفه. وقد ألَّف ما يزيد على أربعة وعشرين كتابًا، تنوَّعت بين شرح القرآن والحديث وبيانهما وموضوعات أخرى شتى. ومن أبرز مؤلَّفاته:

١- مفتاح القرآن (أردي كامل، خمس مجلدات طبع أخيرًا)

٢- معاني كلمات المثاني أي لغات القرآن لم يطبع بعد

٣- قاموس القرآن لم يطبع بعد

٤- مفتاح القرآن (عربي، عدة مجلدات) لم يطبع بعد

٥- تحفة القاري بشرح صحيح البخاري (كامل، ١٩ مجلدًا) لم يطبع بعد وظهربعض الأجزاء المختارة منه في مجلة الإشراق العربي ولايزال.

٦- شرح مسند أحمد بن حنبل (أردي، ١٦ مجلدًاطبع منه مجلدواحد فقط باسم نهاية التحقيق شرح مسند أبي بكر الصديق)

٧- أقوم المسالك شرح موطأ الإمام مالك (أردي، مجلدان)

٨- صحيح البخاري: دراسة تحقيقية طبع

٩- صحيح مسلم: دراسة تحقيقية (غير مطبوع)

١٠- أحاديث الدجال: دراسة تحقيقية نقدية خرجت له طبعتان

وإلى جانب هذه الأعمال التحقيقية، كان له اهتمامٌ بالأدب واللغة، فله ديوان شعر أردي بعنوان "موتيوں کی لڑیاں" أي (خيوط اللؤلؤ)، لا يزال مخطوطًا لم يُطبع بعد. وله روايتان: إحداهما أردية بعنوان "غم بالائے غم" أي (حُزنٌ فوق حُزنٌ)، والأخرى عربية بعنوان "وردة". وقد ترجم علاوةً على ذلك الرواية التاريخية العربية الشهيرة "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير إلى اللغة الأردية.وبالأسف ضاع الجزءالكبيرمنها، وهذه بعضٌ من أبرز إنتاجه المتنوع، إذ له سواها رسائل وكتب أخرى عديدة.

ذوقه العلمي والتحقيقي

لمَّا كان العلامة الميرتهي قد اتَّسم منذ بداياته بسعة الاطلاع، والعقلية التحقيقية، وعلوِّ الفكر، وحضور البديهة، والثقة بالنفس — فقد أفضى إليه التعمُّقُ المتواصل في الكتاب والسنة ملكةَ الاجتهاد والإبداع في استنباط الأحكام والمعاني. وقد خالف المتقدّمين وجمهور العلماء في مسائل علمية وفكرية متعددة، وعرض آراءه مدعومةً بالأدلة والشواهد في مؤلَّفاته. ومن تلك المسائل: مسألة القراءات السبع أو العشر، وإثبات الإجماع، ومسألة النسخ، وتحويل القبلة، وحادثة الإفك وتقدير شأنها، وقطعية خبر الواحد، وبحث المحكم والمتشابه في الآيات القرآنية، ، وبحث الحروف المقطعة، والمراد باللوح المحفوظ، ومسألة استخلاف الإنسان في الأرض، وتفسير بعض الآيات القرآنية تفسيرًا منفردًا جديدًا — كلُّ هذه المواقف المنفردة تكشف عن عقلية ثاقبة وفكرٍ نافذ نادر.

نماذج من تحقيقاته النادرة

١. إبراهيم عليه السلام والكذبات الثلاث

تُعدُّ عقيدةُ عصمة الأنبياء وأمانتهم من الأصول الراسخة عند المسلمين، غير أنّ ثمة من انخدع برواية في صحيح البخاري فنسب إلى إبراهيم عليه السلام الكذبَ لفظًا على الأقل، مع أنّ تلك الرواية ليست مرفوعةً متصلة، بل هي موقوفةٌ على أبي هريرة رضي الله عنه، ولعله سمعها من أهل الكتاب. ويكتب المولانا الميرتهي أنَّ كثيرًا من الترَّهات والأقاويل الباطلة الإسرائيلية تسرَّبت من خلال رواة من أهل الكتاب ككعب الأحبار إلى كتب الحديث والتفسير في صورة أحاديث نبوية.

ومن جملة ذلك هذه الرواية التي تزعم أنَّ إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات في حياته: مرةً حين تذرّع بالمرض ذريعةً لكسر الأصنام، ومرةً حين قال إنّ كبير الأصنام هو من كسرها، ومرةً حين وصف زوجتَه سارةَ للملك المصري بأنها أخته خشيةً على نفسه. ويؤكّد المولانا أنّ هذه الرواية لم يُحدّث بها رسول الله ﷺ قط، وإنما سمعها أبو هريرة رضي الله عنه من كعب الأحبار أو غيره ممن كانوا حديثي العهد بالإسلام من أهل الكتاب، فنقلها دون أن يذكر مصدرها، ولم يعرضها على موازين العقل والنقل حتى يتبيّن له بطلانها. (وه بندۂ مولا صفات، ص ١٠٦)

٢. عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند الزواج

جاء في صحيح البخاري والنسائي وغيرهما بسند هشام بن عروة رواية تُفيد أنَّ أمَّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

"تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتٍّ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَأَنَا بِنْتُ تِسْعٍ وَكُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ."

وقد استنتج الراوي والكثيرون من العلماء من هذه الرواية أنّ عمرها عند العقد كان ستًّا أو سبعًا، وعند الدخول تسعًا، وهو استنتاجٌ ناشئٌ عن سوء فهم الرواية وعدم استيعاب مراد قائلتها.

أما الحقيقة فهي أنَّ عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند العقد كان نحو ستَّ عشرة سنة، وعند الدخول والبناء بها تسع عشرة سنة.

وقد فصّل العلامة الميرتهي القول في هذه المسألة، وبيّن الفهم الصحيح لكلام السيدة عائشة رضي الله عنها بأسلوب رصين مدلَّل، فقال:

"إنّ هذا الحديث الذي رواه هشام بن عروة مثالٌ سيّئٌ على الرواية بالرأي والقياس، وعلى إنزال الظنّ منزلة اليقين. فأُمّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لم تقل قطُّ إنها حين جاءت عروسًا إلى بيت رسول الله ﷺ كانت تلعب بالعرائس، وأنَّ صديقاتها كنَّ يتفرَّقن حين يَرينه ﷺ - فهذا الذي نقله هشام ليس إلا ظنًّا لا سند له ولا أساس. نعم، صحيحٌ أنَّ أمَّ المؤمنين قالت: تزوَّجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ستٍّ وبُنِيَ بي وأنا بنت تسع، إلا أنها حين ذكرت هذه الأعداد لم تصرِّح بلفظ العقد - أي بذكر مرتبة العشرات صراحةً - إذ جرت العادة في العربية وغيرها من اللغات أنّ العقود والمئات تُحذف أحيانًا في ذكر المدد اعتمادًا على قرينة السياق، ويفهمها السامع من تلقاء نفسه. وعليه فالمقدّر في قول السيدة عائشة رضي الله عنها هو (بعد العشر)، ويكون المعنى: أنّ عمرها عند العقد كان ستَّ عشرة سنة، وعند الدخول تسع عشرة سنة، ولا شكَّ في هذا التقدير."

ثم يستدلُّ العلامةُ الميرتهي على هذا التقدير بحديث نبوي جاء في ضمن تحرّي ليلة القدربلفظ:

"التمسوها في الخامسة والسابعة والتاسعة(أى بعد العشرين) في العشرالأواخر من رمضان" (رواه البخاري أيضا)

ويثبته بالمراجع التاريخية، فيبيّن أنّ عمر السيدة عائشة رضي الله عنها عند العقد لم يكن ستًّا بل ستّ عشرة سنة، وعند الدخول لم يكن تسعًا بل تسع عشرة سنة. (صحيح البخاري: دراسة تحقيقية، ص ٢٥٣)

٣. التفسير الصحيح لقوله تعالى: "هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ"

ورد في سورة الأنعام ضمن قصة إبراهيم عليه السلام في آيات متعددة قوله تعالى: "هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ"، وقد جرى المفسّرون على أنه قول إبراهيم عليه السلام. غير أنَّ تحقيق المولانا الميرتهي يُثبت أنَّ هذا التفسير غير مستقيم، لأنّ هذه الجملة تنطوي على معنى شركي يستحيل في حق الأنبياء المعصومين أن يصدر عنهم — إذ النبي تحوطه عنايةُ الله تعالى وتسديده طوال حياته، وإن لم يكن هو نفسه على وعيٍ تام بذلك.

ويُقدِّم المولانا ترجمةَ الآية وشرحها على النحو الآتي:

"فلمَّا جنَّ عليه الليل رأى — أي آزر — نجمًا في السماء فقال: هذا ربي، هذا أكبر. فلمَّا أفل قال إبراهيم عليه السلام: لا أحبُّ الآفلين." ثم يُعلِّق قائلًا: "إنَّ فاعل الفعل (رأى) والقائل بـ(ربي) في هذه الآيات هو آزر والد إبراهيم عليه السلام، كما أوضحتُه في الترجمة، لأنّ هذه الآيات تنقل حوارًا دائرًا بين إبراهيم وآزر، وبأدنى تأمُّل يتّضح أنّ كلّ قولٍ راجعٌ إلى قائله الحقيقي." (وه بندۂ مولا صفات، ص ١١٦)

يتَّضح مما سبق كم كانت منزلة العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي رفيعةً في ميدان العلم والبحث، غير أنّ بقاءه مغمورًا وغيابه عن دائرة الاهتمام — كلاهما دليلٌ صارخٌ على أنّ الشهرة وتقدير العلم لا يسيران دائمًا في ركبٍ واحد. فمن أفنى عمره كلَّه في خدمة الكتاب والقلم، وآثر العزلة على الإطراء الجماهيري، وجعل الدليل والتحقيق شعاره بدلًا من التسليم الأعمى للموروث — مثل هذا الرجل في الغالب لا يُعرَف في زمانه، لكنَّ عمله يجعله خالدًا لا يموت.

إنَّ مؤلَّفات المولانا الميرتهي التي تمتدّ عبر عشرات المجلدات، ومواقفه التحقيقية الجريئة، وما أبداه من شجاعة نادرة في رصد الإسرائيليات والروايات التفسيرية الواهية ونقدها في كتب الحديث — كلُّ ذلك

مجتمعًا يجعل منه كنزًا نفيسًا في التراث العلمي الإسلامي الأردي والعربي على السواء، لم يكتشفه الناس بعد على وجهه الحق. والحاجة ماسَّة اليوم إلى نشر مؤلَّفاته وإخراجها في طبعات لائقة، وتعريف أهل العلم بإسهاماته، وإطلاع الأجيال القادمة على هذا الإرث المخبوء - لأنّ هذا السراج الذي لم تبلغ أنواره الآفاق ولم تذع شهرتُه في حياته، يبقى في وهجه من النور ما يكفي لإنارة الطريق أمام الآخرين.

الإعداد: تنوير الإسلام *

المقاومة عبر العصور ومرّ الدهور

(الحلقة الأولى)

المقاومة لغة واصطلاحاً:

من فعل: قام (قام، قوما، قياما، قومة) بمعنى انتفض واقفا، قاومه للمصارعة وغيرها: قام له، وقاوموا في الحرب: قام بعضهم لبعض.[١]

أما مصطلح المقاومة فينطبق على رد فعل جماعي ضد الظلم والاستبداد والقهر والاحتلال، وفَرْضِ منع التجوُّل على البشرية. ولا تكون المقاومة رد فعل ضد الاستبداد السياسي أو الاحتلال الأراضي فحسب، بل إنما هي ردّ فعل ضدّ كلّ شيء اعتبره الناس انتهاك حقوقهم، مثل: الاستبداد الثقافيِّ، وانكماش الاقتصادي، والاستبداد الجماعي، سواء أكان داخليا أو خارجيا كما أشار إليه "إبراهيم لقمان": "فمعنى المقاومة هو الوقوف في وجه الظلم، سواء أكان مصدره داخليّا أم خارجيا".[٢]

---

*الباحث بجامعة لكناؤ، لكناؤ، يوفي

[١] المعجم الوسيط، مصر: القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط ٣، ج ٢، ص ٧٩٧.

[٢] إبراهيم لقمان، ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة: دراسة فنية، تركيا: قسطنطينية، ط ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧، ص ٦٢.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن الأدباء عرفوا المقاومة بتعريفاتٍ مختلفةٍ، بعضهم ينسبها الي النفس، وبعضهم الدين، و بعضهم الي الوطن أو المال أو العرض، كما يقول براء احمد: "المقاومة هي النضال الشرعي قانونا وشرعا ضدّ عدو محتل لأرض الغير بالقوة، وتتعدّ أشكال المقاومة بدت من السلاح و انتهت بالمقاومة السياسية.[٣]

فالحاصل من مفهوم المقاومة: أنَّ كل انسان يقدر بما في وسعه بصورة عامة في نشأته الفردية والاجتماعية مجموعة من القيم و المصالح الفطرية التي تحيط مسيرة وجوده و حياته. وقد اجتمعت كلمة العقلاء علي عدها في خمسة قيم ومصالح و هي: الدين والوطن و النفس والعرض والمال.

الأول: الدين والعقيدة، والمقصود بهما عقيدة الإنسان ونظرته و مذهبه الي الكون والطبيعة والمصير، ومفهوم الدين يشمل الديانات السماوية، و خاتما الاسلام الحنيف القيم جاء به - النبي صلى الله عليه وسلم - قائلا ومبشرا: "إن الدّين عند الله الاسلام"[٤] ويشمل الديانات الأراضية والأفكار و المعتقدات التي وضعتها بعض المذاهب والاتجاهات البشرية.

الثاني: الوطن ومسقط الرأس، ويراد بهما الأرض التي يقضي فيها حياته ويتلذَّذ من خيراتها مع مجموعة من البشر يُطلق عليهم اسم الأمة أو الشعب، وهو يحيط الوطن الذي يعيش به مع افراد دينه ومعتقداته.

الثالث : النفس والمراد بها الانسان من حيث هو فرد أو أمة أو شعب.

الرابع : العرض: والمقصود به ناموس الإنسان و شرفه، ويشمل الشرف الذي يعود إلي الفرد، والشرف الذي يعود للأمة أو الشعب.

---

[٣] براء أحمد: أدب المقاومة: الثورة – يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٧/٠٨/١٣.

[٤] آل عمران: ١٩.

الخامس: المال والثروة: والمقصود بهما كل ما يمتلكه الإنسان، ويشمل ما يمتلكه الإنسان من حيث هو فرد أو أمة أو شعب.[٥]

وهذه حقيقة لا تُجحد ولا تُنكَر بأن سليمَ الفطرة والعقل يريد أن يقضي حياته الغريزة مطمئنة بالدين والنفس والوطن والمال والعرض، خارجا عن المذلّة والخذلان، فالإنسان إن كان متّصفا بهذه الصفات يُلقّب بالحُرّ وإلا يدّعى بمجتمع المحتلة، ويجب عليه المقاومة سواء أكان فرديا أو مجموعية.

بداية المقاومة:

في الواقع أنّ المقاومة وُلدت مع الإنسان، وظلّت ملازمةً له منذ نشأة الخليقة؛ لأنه مخلوق مقاوم بطبعه و فطرته لكل ما يحسبه عنصرا يعمل ضده، إن كان هذا العنصر ينتمي إلي محيطه و بيئته أو كان من المجموعات الإنسانية أو الطبيعية الأخرى.

أول مقاومة بين آدم -عليه السلام – و ابليس:

تبدأ عمل المقاومة منذ أن خلق الله أبا البشر آدم - عليه السلام -؛ حيث خلقه الله تعالى بيده الكريمة من طين، ونفخ فيه من روحه وعلمه أسماءَ الأشياء كلّها من الطيور والدواب وغير ذلك، وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم زيادةً في التكريم والتشريف، فسجدوا كلُّهم إلا إبليس و استكبر، فأهبطه الله من ملكوت السماوات و أخرجه ذليلاً مدحورا، وقضى عليه باللعنة والشقاء والنار، وبعد ذلك سأل إبليس ربَّه أن يُنظِره إلى يوم القيامة، فقال الله تعالى: "إنك من المُنْظَرِيْن"[٦]، وقال: " فبما أغويتني

---

[٥] وسام البصري: منتديات؛ طوبى للغرباء، ٢٠١٠/٠٥/٧.

[٦] الأعراف: ١٥.

لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلقهم وعن أيمانهم وعن شمالهم ولا تجد أكثرهم شكرين"[٧]، فمن الممكن أن نقول: إن ابليس ادعى المقاومةَ أمام الله تبارك وتعالى، وأخرجه الله - سبحانه و تعالى - من الجنة، وأعطاه القدرةَ على الوسوسة والإغواء والمقاومة بالإنسان، وأمهله إلى يوم القيامة، وكلّ مؤمن يرى أن الشَّيطانَ يُحاول أن يطرده من الصراط المستقيم.

ولمّا ظهر وجود آدم - عليه السلام - خلق الله من آدم زوجه - حواء عليها السلام - ليسكن إليها، ويأنس بها، وأمر الله – تبارك وتعالى - لهما أن يسكنا دار القرار؛ الجنةَ التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، و أخبرهما بعداوة إبليس لهما، ونهاهما عن الأكل من شجرة من أشجار الجنة ابتلاءً و امتحانًا، فوسوس لهما الشيطان، وزيّن لهما الأكل من تلك الشجرة، وأقسم لهما أنه لهما من الناصحين، وقال: إنْ أكلتما من هذه الشجرة كنتما من الخالدين.

فلم يزل بهما حتى أغواهما، فأكلا من الشجرة وعصا ربهما، وأُخرجا من الجنّة، ومنذ أن أهبط الله آدم و زوجته إلي الارض بدأت المقاومة بالإنسان وعدوه، وقاوم آدم - عليه السلام - بإبليس باللسان والدعاء والقلب، وهذه صورة من صور المقاومة منذ وُلِد الإنسان، ومنذ ظهر الإنسان على أرض الله تبارك وتعالى، ولأنَّ اللّغة واللسان تُعَدُّ من إحدى أدوات التواصل والمواجهة، وهكذا بدأت قصة المقاومة، وعاش آدم و زوجته وذريته إلى أن جاء نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت المقاومة تعيش به في صور مختلفة.

---

[٧] الأعراف: ١٦/ ١٧.

أول معركة و مقاومة في التاريخ:

تذكر أهمّ كتب التّاريخ أنّ أوّل معركة في التاريخ بمعنى تعدي طرف على آخر، هي معركة "هابيل" مع أخيه "قابيل"، والتي انتهت بمقتل قابيل لهابيل، وكان سبب التعدي سبب نفسي دافعه الغضب، إذ لم يقبل قابيل أن يقبل الله القربان من هابيل ولا يقبله منه، فدعاه للقتال.

تدل قضية قابيل و هابيل على أن المقاومة ما زال يرافق منذ القدم حتى الآن، قال "أنيس منصور": "فنحن أحفاد قابيل الذي قتل أخاه هابيل، فالدماء والانتقام والحِقد في عروقنا".[٨]

المقاومة في الشعر الجاهلي:

ففي العصر الجاهلي كان الشاعر يدافع عن وجود القبيلة و حقها، يُمجّد بطولاتها، و يُشهّر كرمها، ويُعلي كراماتها، ويحضها على انتهاء دروب الفضائل والشمائل.

على سبيل المثال قول "دريد بن الصمة وقد نصح قومه "بني غزية"، فتركوا نصيحته و قاتلوا أعداءَهم ومعهم قُتل أخوه عبد الله، فقال يرثيه[٩] :

أمرتهم أمري بمنغرج اللوى
فلم يستبينوا الرُّشدَ إلا صحي الغد
وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويتُ وإن تُرشد غزيةُ أرشُد

---

[٨] أنيس منصور: نحن أحفاد قابيل، صحيفة "الشرق الأوسط" ديسمبر ٢٠٠٦م، العدد ١٠٥٢.

[٩] وليد مشوح: الشعر العربي المقاوم عبر التاريخ، صحيفة الرأي، ١٥/ ٠٥/ ٢٠٠٧م.

أي أمرتهم أمري ذلك في ذلك الموضع، ولم يتبيّن لهم سداد رأيي إلا صحي اليوم التالي، و أنا من قبيلة غزيّة، إن انحرفت القبيلة عن الرشد انحرفتُ معها، وإن رشدتْ أرشد.

وكان الشاعر فارسا و عاشقا، فارسا في المعركة وعاشقا في الحب، وأذكر هنا على سبيل المثال الشاعر الجاهلي "عنترة بن شداد" العبسي، يذهب مُعظَم المؤرِّخين إلى أنَّ عنترة بن شدّادٍ شهد حرب داحس و الغبراء، واشترك فيها حتى نهايتها، ويُعدّ عبدا إلا أن العبودية لم تنف عنه استعداد الأصل لحمل راية الحرّية، إذ كان يصقل شخصيتَه الصّارمةَ ويقوي جذعه القوي منذ صغره الذي قضاه مع الإبل في حضان الطبيعة الواسعة، والموماة القاسية مستفيدا منها أساسا متينا لتحقيق نجاحه فيما بعد، حيث إنَّه تفرّد بفضل شظف العيش و مرارة الحرمان، بأخلاق سامية تجعله يضبط نفسه، ويمتنع عن الأشياء الماجنة والشهوات الفاسدة، مقتربا من البطولة والفروسة، الأمر الذي يؤدّي إلى تسجيله مآثر باهرة لا تُمحى، وكونه شخصًا معجبًا في تاريخ الأدب العربي يطيب ذكره على ألسنة العرب الى يومنا هذا.

(للبحث صلة...)

الشعر والقريض

الشاعر: الأستاذ عمر محمود ضوبع

الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية

(٧)

(فَصْلٌ في عِبَادَتِهِ ﷺ)

(ما سَنَّهُ ﷺ في الصَّلاةِ):

وَكَانَ سَنَّ مَعْ صَلاةِ الوَاجِبِ ... عَشْرًا مِنَ النَّوَافِلِ الرَّوَاتِبِ
فَابْدَأْ بِرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ ... وَمِثْلَهَا قَبْلَ وَبَعْدَ الظُّهْرِ
وَبَعْدَ مَغْرِبٍ كَذَا بَعْدَ العِشَا ... وَفِي سِوَاهَا قَدْ يَزِيدُ مَا يَشَا
وفي ارتِفاعِ الشَّمْسِ قَدْ سَنَّ الضُّحى ... يُحِبُّ أنْ يَرفَعَ فيهِ صَالِحَا

(قِيامُهُ ﷺ في اللَّيل):

يَقُومُ لَيْلَهُ فَلَا يَضِيْقُ ... وَمَنْ يُطِيْقُ مِثْلَمَا يُطِيْقُ
يَبِيْتُ فِيهِ رَاكِعًا وَسَاجِدا ... يَقرَأُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدا
أَزِيْزُ جَوْفِهِ كَصَوْتِ الْمِرْجَلِ ... نَفْسِي الفِدَا لِخَدِّهِ الْمُخَضَّلِ
يَتْلُو وَيَرجُو رَحمَةَ الْمَولَى كَذَا ... إِذَا تَلا وَعِيْدَهُ تَعَوَّذَا
مُجْتَهِدًا وَذَنْبُهُ مَغفُوْرُ ... كَذَاكَ عَبْدُ رَبِّهِ الشَّكُوْرُ

(يتبع...)

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعرًا: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)

(١٢)

عَطايانا سحائبُ مُرْسلَاتٌ ... ولكنْ ما وجدنا السَّائلينا
وكلُّ طريقنا نَوْرٌ وَنُورٌ ... ولكنْ ما رأينا السَّالكينا
ولم نجدِ الجواهرَ قابلاتٍ ... ضياءَ الوحي والنُّور المبينا
وكان تراب آدم غيرَ هذا ... وإنْ يكُ أصله ماءً وطينا
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ ... لأجرينا السَّماء لهم عُيونا

*****

وأخضعنا لِمُلْكِهِمُ الثَّرَيَّا ... وشيَّدْنا النُّجوم لهم حُصونا
ولكنْ أَلْحَدُوا أَنِّي خيرِ دينٍ ... بنى فِي الشَّمس مُلْكَ الأَوَّلينا
تُرَاثُ محمَّدٍ قد أهملوه ... فعاشوا في الخلائق مُهْمَلينا
تولَّى هادمُو الأصنام قُدْمًا ... فعاد لها أولئك يصنعونا
أباهم كان إبراهيم لكن ... أرى أمثال آزَرَ في البنينا

(يُتبع...)

الشاعر: الدكتور صلاح عدس

معركة "الحَرَّةِ" *

النارُ تحرق «المدينة»
وتصرخ الدماءُ في الشوارع الحزينةْ
والرعبُ يخنق البيوت المستكينةْ
وسط البكاء والعويل والجنون
ويبرق الذهول في العيون
من هول ما يرون
أشلاء الجثث تسدُّ الطرقاتْ
صار الكُلُّ يتامى وأرامل ثكلى محزونات
جيش «يزيد» الغادرْ .. قتلوا أصحاب رسول الله غيلةْ
أسروهمْ .. سجنوهم دون جريرةْ
جيش «يزيد» الفاجر .. هتكوا عرض نساء صحابته الأطهارْ
وبنات صحابته الأبرار
فعلوا الفاحشة بهنّْ ..
وسبايا لدمشق اقتادوهنّْ ..

---

* قال رسول الله ﷺ : "من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". رواه مسلم.

حتى «أَنسُ» ومن كانوا يروون حديث رسول اللهْ
وضعوا الأختام على أذرعهمْ .. إذلالا ومهانةْ
كي يتجنبهم كل الناس ولا يأخذ عنهم أحدٌ دينهْ
كتب «يزيد» لأهل رسول الله وأهل مدينته المنكوبةْ
عهدًا أن يبقيهم ليزيدْ ..
خدمًا وعبيدْ ..
سأل الناسُ شيوخ السلطانْ عن أمر «الحَرَّةْ»
ما كانت معركة بل مذبحة كبرى
قال شيوخ السلطانْ : من كان أمير الأُمَّةْ ..
ليس عليه حرامْ .. ليس عليه عقوبةْ
يفعل ما شاء فما يفعله قَدر اللهْ
فهو خليفةُ ربِّ الأرباب
من ثمَّ فليس عليه حساب
ليس عليه عتاب ..

[من ديوان "ثورة ((المختار))، صـ ٥٩-٦١]

بقلم: وردة أيوب عزيزي*

مِنْ وَحْيِ النُّبُوَّةِ

(قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في بحر المتقارب)

غَزَلْتُ مِنَ الضَّوْءِ عِطْرَ شَذاكَا
وَمِنْ بُرْدَةِ الصِّدْقِ بِرُّ هَواكَا
وَرُحْتُ أَصُوغُ حُرُوفِيَ عِقْدًا
لَعَلِّي بِكُلِّ الْحُرُوفِ أَراكَا
تَوَضَّأْ بِالنُّبْلِ فَرْضًا وَنَفْلاً
فُؤادِي وَقَدْ كَلَّلَتْنِي يَدَاكَا
وَغَرَّدَ فِي الْقَلْبِ طَيْرُ اشْتِياقِي
لِحُلْمٍ يُرِينِي مَرايَا بَهاكَا
مِنَ الْعِزِّ ها قَدْ بَنَيْتَ صُرُوحًا
مِنَ الْعِلْمِ فاضَتْ بِنورِ سَناكا
وَبِالْحَقِّ أَذَّنَ فِيها بِلالٌ
تَبارَكْتَ يا مَنْ رَفَعْتَ السِّماكا
أَرِحْنَا بِها يا بِلالُ فَإِنَّا
نَتوقُ اسْتِماعًا لِعَذْبِ نِداكا

* أديبة وشاعرة جزائرية.

أَنا يا "مُحَمَّدُ" أَيْقَنْتُ قَوْلًا
وَآمَنْتُ أَنَّ الإِلَهَ اجْتَباكَا
وَأَعْلاكَ قَدْرًا عَلَى الْعالَمِينَ
فَنِلْتَ الَّذِي لَمْ يَنَلْهُ سِواكَا
وُلِدْتَ مِنَ الْعِزِّ نُورًا وَضِيئًا
سَرَى في الْقُرَى والْبَوادِي ضِياكَا
فَزُلْزِلَ بِالْحَقِّ إِيوانُ كِسْرَى
وَأَطْفَأَ رَبُّكَ نارَ عِداكَا
وُلِدْتَ يَتِيمًا وَلَكِنَّ رَبِّي
تَبارَكَ في الْمَلَكُوتِ رَعاكَا
وَشَقَّتْ مَلائِكَةُ النُّور صَدْرًا
وَعَطَّرَ رَبُّك بِالذِّكْرِ فاكا
فَما كُنْتَ إِلَّا الصَّدُوقَ الأَمِينَ
وَنَشْهَدُ غَيْبًا كَمَنْ قَدْ رَآكَا
وَنَشْهَدُ أَنَّكَ خَيْرُ الأَنامِ
فَسُبْحانَ مَنْ لِعُلاهُ اصْطَفاكا
"خَدِيجَةُ" قَدْ زَمَّلَتْكَ بِحُبٍّ
وَهَدَّأَ رَوْعكَ رَبٌّ حَماكا
وَأَسْرَى بِكَ اللَّهُ مِنْ كَعْبَةِ النُّورِ
لِلْقُدْسِ كَيْ ما تُصَلِّي هُناكا
فَصَلَّيْتَ بِالْمُرْسَلِينَ إِمامَا
وَأَعْلَاكَ رَبُّكَ عَنْ ذَا وَذاكَا
فَكُنْتَ الْقَرِيبَ مِنَ الْعَرْشِ حَتَّى

أَضاءَتْ بِأَنْوارِهِ مُقْلَتاكَا
وَخَمْسٍ فُرِضْنَ وَكُنَّ عَطايا
مِنَ اللَّه، لَمْ يُعْطِهِنَّ سواكا
وَحِينَ أَتَى الْأَمْرُ هاجَرْتَ حُبًّا
رَفِيقُكَ في الْغارِ خِلٌّ فَداكا
تَقُولُ لَهُ لا تَخَفْ يا صَدِيقي
فَإِنَّا بِعَيْنِ الَّذِي قَدْ بَراكَا
وَنَحْوَ الْمَدِينَةِ سِرْتَ عَزِيزًا
فَسُبْحَانَ مَنْ قَدْ أَعَزَّ خُطاكا
وَأَرْخَى عَلَيْكَ مِنَ الأَمْنِ سِتْرًا
وَطَيَّبَ في كُلِّ شِبْرٍ ثَراكا
أَقَمْتَ بِصِدْقِكَ دَوْلَةَ عَدْلٍ
وَقُرْآنُ رَبِّيَ كَانَ هُداكا
هُوَ الْمَنْهَجُ الْحَقُّ وَهْوَ الطَّرِيقُ
لِمَنْ شاءَ مِنْ حَرِّ نارٍ فِكَاكَا
حَبِيبِي أَيا خَاتَمَ الأَنْبِياءِ
قَدِ اشْتاقَتِ الرُّوحُ يَوْمَ لِقاكَا
فَكُنْ لِي شَفِيعًا لِيَوْمِ الْحِسابِ
فَلَوْلا الشَّفاعَةُ ذُقْتُ الْهَلَاكَا
وَيا رَبِّ فَاقْبَلْ صَلاتِي عَلَيْهِ
وَحَقِّقْ دُعاءَ امْرِئٍ قَدْ دَعاكا

الشاعر: أسامة الزقزوق*

الطريق الي رضاك

قلبي من فرط جمالك
يذوب
كأنه قافية
بحضن السماء
تغيب
فهذي قصائدي لها
بين راحتيك صهيل
ووجيب
قد اسكنتها مدامعي
أحداقي
وأنسامي
كي تشدوا بجميل
أخلاقك

---

* أسامة محمد علي محمد (إسم الشهرة: أسامة الزقزوق) شاعر وأديب مصري من مواليد ١٩٧٠م، خريج كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة أسيوط، وعضو اتحاد كُتّاب مصر.

وتجوب
و كي تعزف من سيرتك العطرة
لحنا سرمديا
طروب
و كي تضيء بنورك
عتمة أيامي
وتضوع دروبي
بعطرك الفواح
وتطيب
يا من أبتغي إليه الشفاعة
بحلو قصيدي
الطريق الى رضاك
وعر
وعصيب
كيف الوقوف
عند حوضك ؟
وقلبي من فرط ذنوبه
يعتلج
ويشيب

الشاعر: محمد الشرقاوي

شمسٌ غاربةٌ

ويمكثُ في القاعِ جمعٌ غَفيرْ
وتغدو الحياةُ شقاءً سعيرْ
فلا البحرُ راضٍ ولا النهرُ راضٍ
ولا العينُ جادت لموتِ الضميرْ
ولا الأرضُ تُنبتُ حُلمًا جديدًا
ولا الفجرُ يقطعُ ليلًا ضريرْ
ولا النخلُ يطرحُ أشهى ثِمارٍ
ولا الغيثُ يسمعُ للمُستجيرْ
وصوتُ العدالةِ أمسى طريدًا
غريبًا يُقاسي بجرحٍ مَريرْ
سِماتُ البراءةِ صارت خطوطًا
من اليأسِ ترسمُ وجهَ الصغيرْ
أشرنا إلى اللصِّ هذا حكيمٌ
رفعنا شعارًا يُعينُ المَسيرْ
فإذ بالمَسيرِ سقوطٌ ورعبٌ
وإذ بالأمانِ ظلامٌ خطيرْ
وإذ بالبساتينِ أمستْ فلاةً
وإذ بالسواعدِ تأبى النَّفيرْ
وإذ بالطيورِ تُقرُّ اغترابًا
فرارًا عساها تُلاقي المُجيرْ

قطعنا عهودًا توارتْ عقودًا
ظللنا كطفلٍ بقلبِ الهَجيرْ
نكصنا فعدنا لبؤسٍ وظلمٍ
وما عاد فينا أمينٌ جَديرْ
إذا الريحُ سارت يمينًا يسارًا
تناثرَ صفِّي كمثلِ الشعيرْ
وأقبلَ مِنْ كُلِّ ركنٍ طغاةٌ
فما عاد للجمعِ فِعلُ الزئيرْ
نُغنِّي ونرقصُ عبر الليالي
لِعزفِ السُّكارى وصوتِ الحَميرْ
ونضحكُ للذئبِ خوفًا وجهلاً
ونسخرُ مِنْ دمعِ قلبٍ فَقيرْ
ونرفعُ مَنْ بالَ فوقَ الأماني
ونطعنُ عقلاً حكيمًا بصيرْ
ونَهدِمُ أمجادَ جيلٍ عظيمٍ
على الشوكِ طوعًا وعِشقًا يَسيرْ
يُصافِحُ بالشوقِ سهمًا ودِرعًا
ويرجو مِنَ اللهِ حُسنَ المصيرْ
سَنمكُثُ في الجُبِّ نأبَى نَجاةً
فبالجسمِ داءٌ وعقلٌ أسيرْ
نرى الموتَ جوعًا وفي الكفِّ كَنزٌ
إلى كُلِّ وغْدٍ ولصٍّ يطيرْ
وفي كُلِّ يومٍ بعزمٍ وجهلٍ
نُصفِّقُ نَهتِفُ عاش الأميرْ

الشاعر: محمد محمد السنباطي*

البيت العتيق

سلامٌ على المبعوث لله رحمــة
سلامٌ عليه بعدَ كل صلاةِ
سلامٌ وقد جاء الحجـيجُ لمكة
ألوفًا قد ازدانوا بخير صفاتِ
وطافوا ولبُّوا خاشعـــين لربهم
بأفئدة تشتاق للنفحاتِ
إذا عطشوا فالرِّيُّ من ماءِ زمزمٍ
فيا شوقُ فاملأ منه أمنيَّاتي
أهذا هو الركنُ الذي في استلامهِ
سلامٌ وأمنٌ واستلام هِبَاتِ؟
أهذا هو البيت الذي وجهنا لهُ؟
نصلي خشوعًا خُفض الجبهاتِ
أهذا هو الموصوف أسود أسعدًا
وتهفو إليـه الروح بالقبلاتِ؟
سلام على الأفواج ماجت بأبطحٍ
هي الطهر في أمواجه العطراتِ
وإني لأصغي للذي ينشـــدونهُ
وألقي بأشواقي إلى عرفاتِ
أحُوم حواليهم كأني حمـــامةٌ

* شاعر، وكاتب، وروائي، ومترجم مصري، من مواليد ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨م

وأثوابهم بيضٌ كما ريشاتي
عليهم يفيض النور بشرًا وفرحةً
وقد فاضت العينان بالعبراتِ
فيا رب فاكتب لي الزيارة مثلهم
وأكملْ بها خمسًا تنير حياتي!

الأحداث

بقلم: شاهد محمود*

ترجمة إلى العربية: أ. عثمان فاروق

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد"(GCIL) أمريكا

(يونيو ٢٠٢٦م)

١- المباحث العلمية النادرة للأستاذ جاويد أحمد غامدي

أطلق مركز غامدي (GCIL) مشروعًا علميًّا وتقنيًّا يهدف إلى حفظ البدايات الفكرية والعلمية للأستاذ غامدي، وإتاحتها للباحثين والمهتمين. وفي إطار هذا المشروع، جرى تحويل مجموعة من التسجيلات الصوتية النادرة، التي يعود تاريخها إلى أكثر من أربعين عامًا وكانت محفوظة في أشرطة قديمة، إلى صيغة رقمية حديثة.

كما خضعت هذه التسجيلات لمعالجة تقنية متقدمة أسهمت في تنقية الصوت وتحسين جودته، بما يوفّر تجربة استماع أوضح وأكثر سلاسة. وتضم هذه المواد عددًا من المباحث العلمية والفكرية المهمة

* مساعد تحرير مجلة "إشراق" المجلة الشهرية الصادرة باللغة الأردية عن مركز غامدي للتعلّم الإسلامي (GCIL) أمريكا.

التي تعود إلى المرحلة المبكرة من المسيرة العلمية للأستاذ غامدي، وهي متاحة عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٢- "الواقعية في مواجهة الأيديولوجيا"

سجّل الأستاذ جاويد أحمد غامدي خلال الشهر الماضي حلقة بودكاست مع اليوتيوبر المعروف فيصل وڑائچ، تناول فيها موضوع "الواقعية في مواجهة الأيديولوجيا" (Practicality vs Ideology)، حيث قدّم رؤية تحليلية موسعة أكّد فيها أن القرارات الاستراتيجية على المستويين الدولي والوطني ينبغي أن تُتخذ في ضوء العلم والعقل، بعيدًا عن الاندفاعات العاطفية والانفعالات الآنية.

وتطرّق خلال الحوار إلى قضية فلسطين، وقيام دولة إسرائيل، والثورة الفكرية والسياسية في إيران، ناقدًا عددًا من السرديات التقليدية المرتبطة بهذه القضايا، ومشدّدًا على ضرورة أن يوجّه المسلمون جهودهم نحو البناء العلمي والأخلاقي والاقتصادي الداخلي، مع تجنّب الحروب والصراعات ما أمكن.

ويمكن متابعة هذه الحلقة عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٣- "الدراسة الواعية للإسلام"

أطلق مركز غامدي للتعلّم الإسلامي التابع لـ "المورد" أمريكا، برنامجًا علميًّا منظّمًا بعنوان "الدراسة الواعية للإسلام"، موجّهًا إلى الراغبين في بناء فهمٍ عميق وواعٍ للدين الإسلامي.

ويتكوّن البرنامج من ثلاثة مستويات رئيسة، تتناول أسس الإسلام ومتطلباته العملية، ومنظومته الفكرية والاستدلالية المتكاملة، إلى جانب دراسة تحليلية مقارنة لمختلف الاتجاهات والتفسيرات الفكرية؛ بهدف

تمكين المشاركين من ترسيخ معارفهم الدينية على أسس علمية واعية.

ويمكن للراغبين في الالتحاق بالبرنامج الاطلاع على مزيد من التفاصيل وإتمام إجراءات التسجيل عبر الموقع الإلكتروني لـ مركز غامدي.

٤- "إطلاق مجاني لكتب التعريف بفكر الأستاذ غامدي"

أعلن مركز غامدي عن مشروع تعليمي متميّز يستهدف الطلبة والأساتذة والمهتمين بالشأنين العلمي والفكري في مختلف أنحاء باكستان، ويقضي بتوفير مجموعة متكاملة من الكتب المعنية بالتعريف بفكر الأستاذ جاويد أحمد غامدي بصورة مجانية.

وفي المرحلة الأولى من المشروع، جرى إرسال هذه المجموعة إلى مئة وثمانين طالبًا وأستاذًا وباحثًا تم اختيارهم من مختلف مناطق البلاد. وقد تلقّت الإدارة ما يقارب عشرة آلاف طلب للاستفادة من هذه المبادرة، غير أن محدودية الميزانية حالت دون توفير النسخ الورقية لجميع المتقدمين، لذلك تقرّر تزويد بقية الطلبة والباحثين بروابط إلكترونية تتضمن ملفات PDF لجميع الكتب عبر البريد الإلكتروني؛ إسهامًا في دعم اهتماماتهم العلمية والفكرية.

٥- "فكر الأستاذ غامدي: أفول أم إحياء؟"

شارك الأستاذ محمد حسن إلياس في مايو ٢٠٢٦م في حلقة بودكاست مع الإعلامي المعروف باسط نديم، تناولت موضوع "فكر غامدي: أفول أم إحياء؟". وقد أوضح خلال الحوار أن محاولات تجديد الأفكار السائدة أو إعادة اكتشافها علميًّا عبر التاريخ كانت تواجه غالبًا أشكالاً مختلفة من المقاومة المجتمعية.

كما تحدّث عن تطوّر التصورات الإنسانية والبنى الفكرية التقليدية،

مؤكدًا أن الحفاظ على الروح الأصيلة للدين يقتضي الانفتاح على مسارات التجديد الفكري، والتعامل الواعي مع التحديات العلمية والكونية المعاصرة.

ويمكن مشاهدة تسجيل هذه الحلقة عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٦- الدروس الأسبوعية في القرآن والحديث

تواصلت خلال شهر مايو ٢٠٢٦م مجالس الدروس المباشرة في القرآن والحديث التي يشرف عليها مركز غامدي، حيث قدّم الأستاذ جاويد أحمد غامدي شرحًا لآيات سورة الفرقان من الآية ٦٩ إلى الآية ٧٧، وكذلك لآيات سورة الشعراء من الآية ١ إلى الآية ١١٥.

أما في مجالس شرح الحديث، فقد تناولت الدروس عددًا من الموضوعات المهمة، من أبرزها:

١- صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢- بيان الأفعال الواجبة والمستحبة في الصلاة

٣- القيام والركوع والسجود والقعدة

ويمكن متابعة هذه الدروس عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٧- أفكار غامدي

"أفكار غامدي" برنامج أسبوعي يُبثّ عبر موقع يوتيوب، يقدّمه الأستاذ سيد منظور الحسن، ويعرض فيه أفكار الأستاذ جاويد أحمد غامدي بأسلوب مبسّط قريب من عامة المشاهدين.

وقد تناولت حلقات شهر مايو ٢٠٢٦م عددًا من القضايا الفكرية المهمة، من أبرزها:

١- أهم المغالطات المتعلقة بالعمل الاجتهادي

٢- من يملك سلطة الحكم على قبول الاجتهاد؟

٣- من يحقّ له ممارسة الاجتهاد؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الحلقات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٨- "الأسئلة الدينية وإجاباتها"

شارك الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير قسم البحوث والتواصل في مركز غامدي، خلال شهر مايو ٢٠٢٦م في برنامج حواري مع البودكاستر المعروف شهزاد غياث، أجاب فيه عن مجموعة من الأسئلة الدينية والفكرية والأخلاقية التي يطرحها الناس في واقعهم المعاصر.

وقد تناولت الحلقة عددًا من القضايا المهمة، من أبرزها:

١- لماذا بُعث جميع الأنبياء في منطقة الشرق الأوسط؟

٢- هل يجوز للمرأة أن تتولى الحكم؟

٣- ما الموقف إذا عجز الإنسان عن الالتزام الكامل ببعض الأحكام الإسلامية؟

٤- هل تمنع الكلاب دخول الملائكة إلى البيوت؟

٥- كيف يمكن بناء التربية الفكرية السليمة للأطفال؟

ويمكن مشاهدة تسجيل هذه الحلقة عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

٩- استفسار: مع الدكتورمحمد عمارخان ناصر

"استفسار: مع الدكتور عمار خان ناصر" برنامج حواري قائم على الأسئلة والأجوبة، يقدّمه العالم الجليل والكاتب القدير والباحث المتميز الدكتور محمد عمار خان ناصر، أحد أبرز تلامذة الأستاذ جاويد أحمد غامدي،

حيث يجيب فيه عن الأسئلة الواردة من الجمهور في مختلف القضايا الدينية والفكرية.

وقد تناولت حلقات شهر مايو ٢٠٢٦م عددًا من الموضوعات المهمة، من أبرزها:

أ- ما الفرق بين الشورى والديمقراطية؟

ب- ما المقصود بإخفاء الزينة؟

ج- هل رأي الأستاذ جاويد أحمد غامدي في مسألة العَول رأي صحيح؟

د- هل يختص منبر الجمعة بأصحاب السلطة والحكم؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الحلقات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٠- برنامج "اسأل غامدي" (Ask Ghamidi)

ينظّم مركز غامدي لقاءً إلكترونيًّا شهريًّا يتيح للمشاركين فرصة التواصل المباشر مع الأستاذ جاويد أحمد غامدي؛ لطرح ما يشغلهم من أسئلة دينية وأخلاقية وفكرية، والحصول على إجابات مباشرة منه. ويهدف هذا البرنامج إلى تعزيز الحوار الواعي، وتمكين الجمهور من مناقشة القضايا التي تثير اهتمامهم في أجواء علمية مفتوحة.

وقد طُرحت في جلسة مايو ٢٠٢٦م مجموعة من الأسئلة المهمة، من أبرزها:

١- هل يُعدّ سيدنا معاوية بن سفيان رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين؟

٢- هل تُعدّ أرباح التهريب من الكسب المحرّم؟

٣- هل تمثّل الديمقراطية النموذج السياسي للإسلام؟

٤- هل الأنبياء معصومون من الذنوب؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١١- حرمة التعدّي على الحقوق

تناول الأستاذ سيد منظور الحسن في هذا المقال حقيقة "التعدّي على الحقوق" وبيان حرمته في ضوء الآيات القرآنية. وقد أوضح أن الاعتداء على حقوق الإنسان، سواء أكانت حقوقًا فطرية، أم شرعية، أم ناشئة عن العهود والاتفاقات المتبادلة، يُعدّ من كبائر الذنوب ومن صور معصية الله تعالى.

كما بيّن المقال أن التطفيف في الكيل والميزان، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، تمثّل صورًا واضحة من صور التعدّي على الحقوق وانتهاكها.

ويمكن مطالعة هذا المقال في العدد الصادر الشهر الماضي من مجلة "إشراق" الإسلامية الأردية الأمريكية.

١٢- الفرق بين 'المجدِّد' و'المتجدِّد'

بحث الأستاذ محمد حسن إلياس في هذا المقال الفروق اللغوية والفكرية بين مفهومي 'المجدِّد' و'المتجدِّد'، موضحًا أن المتجدِّد يسعى إلى تغيير البنية الأصلية للدين بما يوافق متطلبات العصر، وهو ما يُعدّ انحرافًا فكريًّا، بينما يعمل المجدِّد على إحياء الدين وإعادته إلى صفائه الأول من خلال إزالة البدع وإبراز روحه الأصيلة.

كما أشار المقال إلى أن اتّهام شخصٍ ما بالتجدّد المنحرف، أو إصدار أحكام بالضلال بسبب الخلافات العلمية والفكرية، يُعدّ من القضايا

الدينية الخطيرة التي ينبغي التعامل معها بمنتهى المسؤولية والإنصاف.

ويمكن مطالعة هذا المقال في عدد مايو ٢٠٢٦م من مجلة "إشراق" الإسلامية الأردية الأمريكية.

١٣- سلسلة تفهيم الآثار

يواصل مركز غامدي تسجيل حلقات برنامج "تفهيم الآثار"، وهو برنامج علمي يُعنى بشرح آثار الصحابة والتابعين وبيان دلالاتها، إلى جانب تقديم جلسات حوارية قائمة على الأسئلة والأجوبة حول مختارات من هذه الآثار.

ويتولى تقديم البرنامج الدكتور سيد مطيع الرحمن، فيما يشارك فيه الدكتور عمار خان ناصر ضيفًا ومحاورًا.

وقد تناولت حلقات شهر مايو ٢٠٢٦م موضوعين بارزين، هما:

١- فهم أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها للقرآن

٢- فهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للقرآن

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الحلقات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٤- أسئلة وأجوبة مع الأستاذ محمد حسن إلياس

شهدت حلقات شهر مايو ٢٠٢٦م من برنامج "Ask Hassan Ilyas"، الذي يقدّمه الأستاذ محمد حسن إلياس عبر قناة "Muslim Today" على يوتيوب، مناقشة عدد من القضايا الدينية والفكرية المهمة.

ومن أبرز الأسئلة التي طُرحت في هذه الحلقات:

١- متى نزل العذاب على قوم عيسى عليه السلام؟

٢- ما مصير الذين يكثرون من الطعن والتشهير بالناس في الآخرة؟

٣- من هو المهدي في رأي الأستاذ جاويد أحمد غامدي؟

٤- هل يُعدّ الإسلام الذي تتبنّاه حركة طالبان خارجًا عن الإسلام؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الحلقات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٥- الأخلاق والأخلاقيات

يتواصل برنامج اللقاءات العلمية التي يقدّمها الأستاذ الدكتور شهزاد سليم، والهادف إلى تعريف الطبقة المتعلّمة المعاصرة بأفكار الأستاذ جاويد أحمد غامدي، وبالمباحث الفكرية والمنهجية الواردة في كتابه الفريد "ميزان".

وفي إطار هذا البرنامج، جرى خلال شهر مايو ٢٠٢٦م تسجيل محاضرتين بعنوان "الأخلاق والأخلاقيات"، تناولتا عددًا من القضايا المرتبطة بالمفاهيم الأخلاقية وأسسها الفكرية في التصور الإسلامي.

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه المحاضرات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٦- الزاوية الإلكترونية لمركز غامدي

يواصل مركز غامدي تنظيم جلساته التربوية الأسبوعية تحت عنوان "الزاوية الإلكترونية"، وهي لقاءات تهدف إلى تهذيب النفس وبناء الوعي الأخلاقي والسلوكي لدى المشاركين.

ويقدّم هذه الجلسات الأستاذ معز أمجد، حيث يتناول قضايا إصلاح النفس والتزكية، إلى جانب الإجابة عن أسئلة المشاركين ومشكلاتهم الفكرية والنفسية بأسلوب حواري هادئ.

ومن أبرز القضايا التي نوقشت في جلسات الشهر الماضي:

١- كيف يمكن التعامل مع اضطرابات المزاج (Mood Disorder)؟

٢- هل يمتلك الإنسان تأثيرًا أكبر على وعيه أم أن البيئة المحيطة هي المؤثر الأقوى؟

٣- هل تختلف معايير الخير والشر من شخص إلى آخر؟

٤- أيهما يسبق الآخر: الضمير الإنساني أم التوجيه الديني؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٧- حلقة دراسة الإسلام

يعقد الأستاذ الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية بعنوان "حلقة دراسة الإسلام"، يتناول فيها قضايا دينية وأخلاقية واجتماعية متنوعة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويتكوّن هذا البرنامج من ثلاثة محاور رئيسة؛ ففي المحور الأول تُختار مجموعة من الآيات القرآنية المرتبطة بموضوع معين، ثم تشرح وتبين دلالاتها. أما المحور الثاني، فيخصص للحديث عن مختارات من الأحاديث النبوية وبيان ما تتضمنه من معانٍ وهدايات. وفي المحور الثالث، يناقش أحد النصوص أو الاقتباسات الواردة في الكتاب المقدس (The Holy Bible).

وفي ختام البرنامج يفسح المجال للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بموضوع الجلسة.

١٨- ملخّص سلسلة الاعتراضات الثلاثة والعشرين (٢٣) باللغة الإنجليزية

يواصل الأستاذ الدكتور شهزاد سليم تقديم ملخصات باللغة الإنجليزية

لموضوعات سلسلة "الاعتراضات الثلاثة والعشرين"، التي تناولت حتى الآن عددًا من القضايا الفكرية والعلمية المتعلقة بالدين.

وقد خُصّصت جلسات الشهر الماضي لتقديم خلاصة لموضوع "اختلاف القراءات"، وذلك بهدف إيصال خلاصة المناقشات المطولة السابقة بصورة موجزة وشاملة إلى الجمهور الناطق باللغة الإنجليزية.

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.

١٩- العلم والحكمة: مع غامدي

يُعدّ برنامج "العلم والحكمة: مع غامدي" من البرامج المعروفة على قناة "Dunya News" الباكستانية، ويُبثّ منذ عدة سنوات بصورة أسبوعية. ويُسجّل البرنامج في مدينة دالاس، أمريكا ويتولى تقديمه الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير قسم البحوث والتواصل في مركز غامدي.

وقد تناولت حلقات شهر مايو ٢٠٢٦م عددًا من القضايا الدينية والفكرية المهمة، من أبرزها:

١- ما المقصود بالعيش في الدنيا كالغريب؟

٢- كيف يمكن تحقيق العدل مع الأعداء؟

٣- ما سبب منع المشركين في مرحلة معينة من دخول المسجد الحرام؟

٤- هل يجوز تغيير بعض الحقائق من أجل الإصلاح وإحلال السلام بين دولتين؟

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الحلقات عبر قناة المؤسسة على موقع يوتيوب.

٢٠- الجلسات الاستشارية الخاصة عبر الإنترنت مع الدكتور شهزاد سليم

تتواصل الجلسات الاستشارية الإلكترونية التي يقدّمها الأستاذ الدكتور شهزاد سليم بهدف المساعدة في معالجة المشكلات الأسرية والاجتماعية المختلفة.

وقد شهد الشهر الماضي عقد أكثر من أربعين جلسة، تناولت قضايا تتعلق بتحديات الوالدين، والإشكالات النفسية والتربوية التي تواجه فئة الشباب، مع تقديم توجيهات عملية وحلول مناسبة لهذه المشكلات.

وأصبحت هذه الجلسات تمثل مساحة مهمة للأفراد الذين يبحثون عن مشورة صادقة في شؤونهم الخاصة، ضمن إطار من القيم الشرعية والأخلاقية.

٢١- إصدار الفتاوى المبنية على الآراء الدينية

أصبح مركز غامدي واحدًا من المراكز المهمة في تقديم الإرشاد الشرعي للمسلمين المقيمين في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما في القضايا المتعلقة بالتطبيقات القانونية للأحكام الشرعية.

وقد صدرت خلال الشهر الماضي مجموعة من الفتاوى المتعلقة بقضايا النكاح والطلاق، والميراث، إلى جانب عدد من المسائل الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. وقد قام الأستاذ محمد حسن إلياس بإعداد هذه الفتاوى في ضوء فكر الأستاذ جاويد أحمد غامدي.

ومن الجدير بالذكر أن الفتوى تعبّر عن رأي ديني واجتهاد علمي، ولا تمثل حكمًا قضائيًّا أو قرارًا قانونيًّا ملزمًا.

٢٢- تدريس تفسير "البيان" باللغة الإنجليزية

يواصل الدكتور الأستاذ شهزاد سليم تقديم دروس تفسير «البيان» للأستاذ جاويد أحمد غامدي باللغة الإنجليزية. وقد تناولت دروس شهر أبريل ٢٠٢٦م شرح الآيات ٤٢–٧٥ من سورة الأنفال، والآيات ١–١٢ من سورة التوبة.

وتهدف هذه الجهود التعليمية إلى إتاحة الفرصة للناطقين باللغة الإنجليزية من الباحثين والمهتمين حول العالم للتعرّف مباشرة على هذا الفهم المعاصر والمتميز للقرآن الكريم والاستفادة منه.

ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الدروس عبر قناة مركز غامدي على موقع يوتيوب.